

والثورة الاجتماعية

دراسة وتحليل

تأليف

محمد عنان

الطبعة الاولى

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م



والثورة الاجتماعيّة

دراسة وتحليل

تأليف

محمّد عنّان

الطبعة الاولى
١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م

بيروت ١٩٧٠

المقدّمة

في الحديث عن ايران اعجاز ، اعجاز تمليه مهابة التاريخ الذي اسهم هذا البلد العريق بكتابة اعمق سطوره على صفحات مشرقة من طرسه .

فماذا يقال عن بلد أنجب قورش وزرادشت وداريوس والفردوسي والخوارزمي وابن المقفع وسيبويه والغزالي وفتح علي شاه وابن سينا ورضا شاه بهلوي وشابور بن سهل ومحمد رضا شاه اريا مهر وغيرهم من الاعلام الذين أعطوا للحياة الغاية من وجودها .

اجل ماذا يقال عن بلد احتضن هيرودوتس واشاد في ربوعه كل تلك الشوامخ الماثلات التي يطل بها على الزمان تخت جمشيد كما أناف عليها ايوان كسرى انو شروان .

لا غرابة اذن ! ان كان في الحديث عن ايران مهد العلوم والفنون والحضارة والرقي والتمدين ومربض الابطال وصناع التاريخ اعجاز كبير لان الكلم مهما أوتي من قوة التعبير والايحاء

يظل عييا امام عظمة المنجزات التي تطالعه سواء من غابر العصور ام من حاضرها خاصة اذا كان الحديث عن ايران هو انطباعات زائر يرتبط معها بأكثر من صلة ٠

ان القلم في يد الصحافي وان كان كالريشة في يد الرسام ينقل المشاهد ويحفظ الصور الا انه يظل محدود الانخطاف اذا ما طالعته شمولية الرؤى ، لذلك ليس عجيبا ان يكتفي بأن ينقل لمساته فوق الشوامخ الرواسي من المنجزات ليصور بعض ابعادها وها انذا في مشاهداتي وانطباعاتي عن ايران ألملم من مطارف المجد صورا عن هذا البلد العريق ٠٠ من تلاقيه مع حضارات الامم وانفتاحه على العالم من ثورته البيضاء الخالدة واهتماماته العالمية من فلسفته وتراثه وامجاده ، من نظرته الى القضية الفلسطينية والقضايا العربية ، من ايمان جلالة الشاه محمد رضا بهلوي آريا مهر الذي اعطى لايران منطلقات رائدة ونهضة جبارة تحتذي هي اليوم مدار اهتمام دول العالم لتقليدها ومحاكاتها علني بذلك اصور بصدق بعض ما سجلته الذاكرة عن ايران التي سارت بثورة السادس والعشرين من كانون الثاني الخالدة لاحتلال مكانتها اللائقة بها تحت الشمس لترد بصوت الثقة والعزم على امجاد تاريخ ايران وتطلعاتها لمستقبل الانسان الذي تصوغه عن طريق العدالة الاجتماعية التي فجرتها الثورة البيضاء ، ثورة النضوج والعلم والاختبار ، التي اختمرت في ذهن العاهل الايراني العظيم٠

محمد عنان

١

تاريخ وثورة

حدثان التاريخ منجزات استوقفت نواميس العطاء ، وعطاء التاريخ بروز أناف على مسيرة الحياة ، ومسيرة الحياة تلاحم بين فعالية الطاقة ورحابة الانخطاف ، والانخطاف الرحب اختمار أنضجته قدرة الرد على محرضات الكينونة • والكينونة الراقية انصهار اعتمل في ركائز العقل ، والعقل البناء طموح يبلور ذاتية الانسان ، والذاتية الانسانية طاقة فكرية فاعلة في مدى مادي مزدوج دافع ومبدع تتواجد مع الشمول المطلق لتحقيق الغاية من وجود الوجود •

بهذه المنطلقات خطت ايران حدثان شخصيتها التاريخية في نطاق البيئة والزمان فأغنت تراث الكون بالابداع في كل فن وعلم وفلسفة واعطت للانسان أبعادا يتلمسها في تواصله مع الخلود ليكون كما لم يشأ له الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ان يحتسب :

وتحسب انك جرم صغير　　　وفيك انطوى العالم الاكبر

فكانت لها تلك الاصالة المميزة التي طبعت التاريخ البشري بسمات فريدة هي سمات ايران بأمجادها وعظمتها وفيضها الفكري ونبوغها الحضاري الخلاق • ومن هنا كانت ايران « ركيزة من ركائز التطور الانساني » كما يرى فيليب فاننس مايرز وكانت حضارتها « مع حضارات الفراعنة واليونان وبلاد ما بين النهرين وحضارة شرق آسيا المنطلقات التي ما زال الفكر يعمل في تفاعلاته معها ليبني عزة الاجيال » كما يقول ارنولد توينبي • ولا غرو في ذلك فايران التي استطاعت عبر نيف وخمسة وعشرين من القرون ان تتعملق فيها روائع البطولات وان يعاضد التليد من منجزات الالاف الاربعة من الاعوام الماثل من عطاءات الثلث الاخير من القرن العشرين في رقعة ترتاح بين المملكة العربية السعودية وباكستان وافغانستان والخليج وبحر الخزر والعراق فتشمل في تفاعلها الحضاري العالم القديم كله ويغطي اتفتاحها الانساني اليوم رقعة الوجود كله ، لا غرو في من كانت هذه معطيات وجودها ان تكون كما وصفها المؤرخون •

ان ايران التي قالت مع زرادشت بالفكر الخير والقول الخير والعمل الخير هي ايران التي ولدت مع كوروش الكبير الذي ترعرع في كنف الطبيعة فنشأ محاربا قوى الشكيمة فاعطى بلاده المجد والخلود وهي ايران التي قالت مع داريوش الكبير « ليحفظ

الله هذا البلد من العدو والجفاف والكذب » • وهي هي ايران الفردوسي وعمـر الخيام والسنائي والنظامي وهـي هي ايران السلالات الاشكانية والغزنوية والصفويـة والزندية والقاجارية والبهلوية • ايران اردشير ومهرداد وبهـرام ويزدجرد واسماعيل وعباس وصفي وطهماسب وايران فتح على شاه ورضا شاه وآريا مهر محمد رضا شاه بهلوي وهـي هـي ايـران الفنون والعلوم والبطولات والثقافة والعظمة والامجاد •

والناظر الى عظمة ايـران يشده الـى امجادها تراث صاغ الآريون لبنات صروحه الاولى منـذ قرابة اربعة الاف عام وهم قوم « يتمتعون بمدنية مشعة وذكاء فطري واستعداد فني كبير » كما اثبتت تنقيبات علماء الآثار، كما يشده اليها تاريخ عريق يعكس حياة شعب عملاق قاده ملوك اوفياء وصلوا بـه الى اوج القدرة والعظمة فهيأوا له الامن والراحة والعدالة الاجتماعية والحرية •

وقد وصل طموح بعض هؤلاء الملوك حدا دفعهم الى حمل معطيات رسالتهم وثقافتهم الـى اصقاع اخرى فكان لهم مع أمم الوجود القديم صراع اعلوا فيه رايـة ايران وغرسوا فيه بذور الفكر والحضارة الايرانية فكتبوا في تاريخ الامم صفحات تتشابك مع صفحات تاريخهم حتى لا يكاد يخلو تاريخ اي امـة من الامم

من صفحة دبجتها البطولة الايرانية وهذا ما جعل كوروش يقول « انا كوروش ملك العالم عندما اتيت الـــى بابل لم اسمح لاي شخص ان ينشر الخـــوف والرعب في ارض سومـــر وأكد ، لقد رفعت اغلال اهل بابـــل السيء وعمـــرت بيوتهم المخربة واعدت جميع الناس الى مدنهم وكذلك الالهة ، قـــد اعدتهم جميعا الى اماكن سكناهم » .

⁂

وايران اليوم ايران العام السبعين من القرن العشرين ترفد ذلك الماضي الغابر بعطاء يعلـــي مداميك ذلـــك البناء التاريخي المتكامل بامجاده كلها وعظمته كلها في نهج يقدس الحرية وينشر العدل والامن والرخاء في تفـــرد يليـــق بمكانة هذا البلد العريق وبابعاد الايمان الذي يعتمل في نفس جلالة الشاهنشاه آريا مهر محمد رضا بهلوي الـــذي اوجـــد في ايران الحديثة ثورة بيضاء شملت شتى مجالات الحياة وفي مختلف مرافقها سواء الاقتصادي منها او الاجتماعي الزراعـــي او التربـــوي الصحي او السياسي الريفي او المدني واي حقل مـــن حقـــول الفعاليات الانشائية او الانمائية فحقق لايـــران مستوى حياتيـــا رفيعا يرتكز في صلب مخططاته على تنويـــع موارد الثـــراء ببنـــاء المرافق الاقتصادية الانتاجية والاستهلاكية على حد سواء .

وهكذا فقد اندرجت نواميس هذه المخططات الراقية وفق خطى ثابتة نابعة من تلك المشاعر التـــي تفاعلت في اعماق جلالة الشاهنشاه فرفعت في تفسه القناعة بان « العوامل الوطنية والعالمية الضرورية قد تهيأت للقيام بثورة اصيلة من شأنها ان تقلب حياة الشعب الايراني رأسا علـــى عقــب وتجعلـــه متجاوبا مع ارقى المجتمعات العالمية في الوقت الحاضر ومعتمدا على اسمى النواميس التقدمية واصول العدالة الاجتماعية والحقوق الفردية » ذلك لان صلات وثيقة وروابط قلبية تربط بين جلالـــة الشاهنشاه وشعبه هي تلك الروابط التي تعمر ذاته فيصورها يراعه حين يقول « ان بيني وبين شعبي رابطة قلبية روحية لا تقبـــل القطيعة والانفصام وربما لا يوجد مثلها في أي قطر مـــن اقطار العالم ، وان جذور هذه الرابطة لا تكمن في عزمي الراسخ على ان اجعل تفسي وقفا على العمل من اجل تقدم بـــلادي ورقيها فحسب ، كما لا تكمن فقط في تلك الثقة التي تشعر بهـــا الامة الايرانية العريقة المقدرة للجميل نحو ملكها اثـــر التجارب التـــي مرت بهـــا اثناء الستة والعشرين عاما التي مارست فيهـــا الحكم ، بـــل انها في الحقيقة ترتبط بما لنظام الحكم الملكي في ايران ولشخصية الملك بالذات من اجلال ومقام معنـــوي يستمدان جذورهما من تقاليد قديمة عريقة ، لان الملـــك الحقيقي في ايـــران كمـــا يقـــول الاستاذ الدانمركي « كرسيتنسن » الخبـــير بتاريـــخ ايـــران واحداثها

الاجتماعية ، ليس زعيمــا سياسيا فحسب بــل هــو قبــل كل شيء معلم ومرشد لامتــه وبــلاده ، أي انــه ليس هــو الذي يقوم بشق الطرق وتعبيدها وحفــر القنوات واقامــة الجسور والاسداد فقط ، بل هو الــذي يعتبــر مربيــا للارواح ومهذبا للافكار وهاديا للقلوب ايضا » •

اذن فثورة ايــران البيضاء هــي ثورة ايمان ، ثورة خلق وثورة تعاطف مع الشعب ومطامحه وآماله وما ينشده من سؤدد ورفعة لذلك فهي كما قال جلالة العاهل الايراني : « ليست ثورة مفروضة علينا او موعزا بها الينا بل انها على العكس ثورة مبناها التعاون الحر لكل فــرد مــن افــراد المجتمع على اساس ادراك مفهومها الحقيقي وما يستلزم تحقيق اصول هذه الثورة تماما هو ان تكون معرفة افراد الامة بها اكثر ما يمكن من التعمق والكمال وان يشاركوا بحرية وعن ايمان خالص في تنفيذ هذه الاهداف التي غايتها تأمين مصالحهم الحقيقية بالذات• وفي تعميمها، ليس ثمة من شك في ان اكبر الواجبات في هذا الصدد يقع على عاتق المرأة الايرانية لانها هي التي تقوم بتربية طفلها قبل اي مدرسة او معهد ويترتب عليها بناء المجتمع المقبل • ولقد ادت ثورتنا واجبها الذي كان في عهدتها بالنسبة لنساء ايــران وذلــك بتحريرهن من نير القيود القديمة واعطاء المجال لكل مــا يفيــد تقدمهن ورقيهن في جميع

الشؤون المادية والمعنويــة للمجتمع الايراني فالواجب عليهن بعد اليوم هو ان يجعلــن انفسهــن جديرات بهــذه الحرية والمثل الانسانية العريقة للامة الايرانية وان يصنعن قواعد التاريخ لايران على اسس تتناسب وماضينا المجيد واني لمؤمن بان المرأة الايرانية ستؤدي رسالتها هذه على اكمل وجه » •

لذلــك ومــن اجــل بلــوغ هــذا الهــدف وبموجب المادة السادسة مــن انقــلاب السادس مــن « بهمــن » قام آلاف الشباب من حاملي شهادة الدراسة الثانويــة بالتوجه الى القرى والارياف في مختلف نقاط المملكة حاملين لــواء مكافحة الامية وعاملين في اصعب الظروف ضمن واجبهم المقدس في خدمة العلم فاستطاع جيش العلم والثقافة الذي ناهز ما يقارب الخمسة وثلاثين الفا من الشباب وبعــد مــرور خمس سنوات فقط من تخريج ما لا يقــل عــن اربعمايــة وخمسين الف صبي • ومئة وعشرين الف بنت ومايتين واربعين الف رجــل واحد عشر الف امرأة من ظلمات الجهل الى نور المعرفة ليسهم الانسان الايراني في خلق ثورته الرائدة ، ويبلغ الاهداف التي تنشدها هذه الثورة بعد أن شرعت أمامه دروب العلم رحيبة ، رحيبة •

٢

ثورة للإنسان

لقد عرف التاريخ في مجريات مسيرتــه شعوبا تثور لتأمين العدالة الاجتماعية وعرف مغامرين يثورون لتسلم السلطان ولكنه لم يعرف قط غير جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي حاكما يثور على الاقطاع والتخلف والفقــر والامــراض المجتمعية بدافع من الحس النبيل والضمير الحــي والمشاعر الانسانية وحدها لتكون ثورة تقول مع ابراهام لنكولن بانهــا « لا تضمر السوء لاحد . بل على العكس من ذلك تبتغي الخير للجميع وهدفها شيئا واحدا فقط هو ان تعطي الحق كما يريده الله للجميع ولا تخشى في هذا السبيل الا الله وحده » وتستمد اصالتها وابعادها الانسانية من وصية الامام علي بن ابي طالب (ع) لمالك الاشتر منذ اربعة عشر قرنا تلك التي تقول : « ليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعهــا مرضاة الرعيــة ، فان سخط العامة

يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغفر مع رضا العامة »
ولم يعرف التاريخ قبل جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي ملكا يقضي الليالي المسهدة لوضع الحلول التي تكفل احقاق السعادة والبحبوحة والخيرات لشعبه والعمل على تخليصه من ايدي الانتهازيين الفاسديين لان القلب الكبير الذي يحمله جلالته لم يكن ملكا لنفسه بل ملكا للامة الايرانية ، ملكا لاولئك الذين تتحدث آماله عنهم حين يقول : « كنت اولا وقبل أي شيء ملكا لاكثر من عشرين مليون ايراني شريف ومجاهد ونبيل كانوا قد خاطوا بي عيون آمالهم وامانيهم ولقد كنت ارى جيدا كيف تذهب غرة اتعاب هذه الفئة البائسة ونتائج جهودهم المرهقة ليلا نهارا الى جيوب طائفة معدودة من الفاسدين العاطلين او العائشين عالات على اتعاب الاخرين والذين لم يكن لهم من فن يتقنونه سوى خدمة الاجنبي او العمل في الميدان الداخلي على عقد الصفقات المشبوهة وكنت اشعر انني لا أسيغ كما انه ليس لي الحق ان ارضى بمثل هذا الوضع ولو ان الكثيرين يرون ان مصالحي الشخصية هي في التفاهم والانسجام مع تلك الطبقة التي كان في يدها تسيير شؤون البلاد » لذلك فان جلالته حين يقول « لعل احدا غيري وغير الهي لا يعلم اية ليال قضيتها حتى الصباح في التأمل والتفكير وكم طلبت من ربي بكامل الخشوع وصادق التضرع عونا لايجاد

الحلول ولارشادي الى السبل الناجعة » • ان جلالته حين يقول ذلك يكشف لنا صفحة من صفحات قلبه المفعم بمحبة هذا الشعب ويعطينا صورة من صور ايمانه المشع بالورع كما ينقل لنا في آن معا ابعاد ايمانه الراسخ بامته الذي كان يحمله على التساؤل كيف : « ان امة كبيرة وثرية مثل ايران امة هي بطبيعتها على هذا القدر من النبل وصفاء القلب والذكاء وعلى هذه السوابق من المفاخر التاريخية تصبح العوبة بيد الوقائع المفاجئة غير المنتظرة ورهن الاحداث المختلفة في ارتفاعها وانخفاضها » •

نعم من هذا الايمان كانت الثورة البيضاء ومن هذه المحرضات البيئية في تضادها كله ارتسمت مداليل ارادة التغيير لبناء المستقبل المزدهر لايران الدولة التي كانت تبهر الدنيا يوما بغناها وقدرتها وعظمتها • ايران الشاهنشاهية التي بدأ ميلادها بميثاق كوروش الشهير الذي يعتبر بحق من المع مظاهر الحرية والعدالة في التاريخ البشري اذ يركز على حرية العقيدة والمبدأ وسائر الحريات لرعايا وشعوب الدولة الشاهنشاهية والتي شاء لها جلالة محمد رضا بهلوي ان ترتع في اجواء العدالة الاجتماعية منذ سنواته الاولى على العرش فكانت رغباته ومطامحه تذهب بها سوء ادارة المتنفذين فما كان منه الا ان عقد العزم على استرجاع ممتلكاته الخاصة جميعها من الحكومة وباعها من

المزارعين بشروط بسيطة جدا ثم جمع من بيع الاراضي اموالا لتأسيس مصرف تعاوني هو ملك هذه الفئة من المواطنين هدفه تقديم القروض والمساعدات اللازمة لاصحاب الاراضي الجدد كما يصرف قسم من ارباحه في نشر الصحة العامة وتعميم الثقافة والمشاريع الاجتماعية ومساعدة المعوزين فارسى بذلك دعائم الثورة الزراعية التي اصابت في عنايتها نيفا و ٥٢٨١٨ قرية و ١٧٦٤٤ مزرعة استفاد منها ما يزيد على ٢،٦٢١٥،٥٩٠ عائلة يربو تعدادها على ١١،٤١٥،٢٣٦ مليون شخصا اضحوا بفيض هذه الثورة الزراعية مالكين يسهمون في ازدياد التقدم الزراعي في البلاد لتكون العدالة الاجتماعية من نصيب الجميع ، على ان كبار المالكين لم يحرموا من حقهم في هذه الثورة الزراعية فاعطوا ما يجعلهم متساوين في حقوقهم وواجباتهم وبقائهم مع فئات المواطنين الاخرين .

ولتكامل ابعاد الثورة الزراعية في بلاده عمد جلالة الشاهنشاه الى تأميم الغابات والاحراج التي تعد من اهم المنابع والثروات الاقتصادية في البلاد فاصبحت ملكا للامة وبدىء بتنفيذ المشاريع الواسعة لحفظها وصيانتها وايجاد الغابات الصناعية وتوسيعها فوضع بذلك حدا لتعسف المالكين الكبار والمتنفذين .

ولم تتوقف ابعاد الثورة الزراعية المباركة هذه عند هذا

الحد بل تعدته الى بيع اسهم ما يزيدعن الخمسة والخمسين مصنعا حكوميا من المصانع الكيماوية والسكر والنسيج ومعامل القطن والحرير لدعم قانون الاصلاح الزراعــي فاصبح بالامكان توفير المال اللازم لتطوير الاصلاح الزراعي مــن جهة وامكان الملاكين الذين نالوا تعويضات اراضيهم من تشغيل هذه الاموال في الاعمال الانتاجية والصناعية من جهة اخرى •



٣

العَدالة الاجتماعية

يقول جلالة الشاهنشاه في كتـاب « الثـورة البيضاء » :
« لست اتذكر طوال حياتي سواء في اثناء ولايتي للعهد او خلال سنوات حكمي انني لـم تخلف في نفسي اثـرا عميقا جدا رؤية المواطنين الايرانيين البائسين الضعفـاء الذيـن كانوا يعانون من مختلف الامراض الاقليميـة وترتسم علـى وجوههم آثار الفقر وسوء التغذية والتأخر الناجمة عن الجهل وضآلة الثقافة » .

لذلك فـان جلالـة الشاهنشاه انطلاقـا مـن معاناته هذه التـي كانت تخلفها في نفسـه اوضاع شعبـه قـد عمد الى اعلان الثورة البيضاء لتصحيح التباين الاجتماعي بين الطبقات وارساء نواميس التـوازن الاجتماعي قاطعـا بذلك الطريق على سموم الحقد الطبقي من ان تجد لهـا في صفوف الشعب اي تجاوب وهكذا فقد دعم جلالته الثـورة الزراعية بثورة صناعية

اجتماعية اشركت العمال في ارباح المعامل فهيأت لهذه الفئة المكافحة من الشعب فرص الاستفادة من اهم المزايا العالية للعمال في العالم فانطلقت هذه الفئة الانسانية الفعالة تمارس دورها الهام في تقدم الصناعة الايرانية وخاصة بعد ان وفر لها عدد من الضمانات الهامة كمنح القروض وبناء المساكن وتوفر الضمان الاجتماعي والصحي وتوفير التعليم الفني والتقني ومجالات الدربة على اتقان المهارات فنسف بخطواته هذه ذلك النظام الاجتماعي الذي استقر عبر القرون المتمادية على وجه من الوجوه والذي كانت الامتيازات الطبقية فيه وصنوف التفاوت الاجتماعي تعد في قليل او كثير امرا طبيعيا لانه « لم يعد قط برقي العلم والوعي الفكري والعلمي والصناعي للشعوب مما يمكن قبوله والتسليم به » كما يقول جلالته •

ولقد اعتمد جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي في اصلاحاته جميعها على مبدأين اثنين اساسيين ومقدسين :

اولهما : الاعتماد على المبادىء المعنوية والتعاليم الدينية •

وثانيهما : صيانة الحريات الفردية والجماعية لان التقدم المادي في نظره « مهما كان براقا واخاذا فان المجتمع المجرد من العقيدة الدينية والمبادىء المعنوية والحريات الفردية والجماعية غير

قابل للبقاء عدا عن انه يكون خلوا من الرونق والجمال » .

وبهذين المعيارين يقيم خطوات البنـاء الاصلاحي المتكامل الذي يرتفع في شتى مرافق الحيـاة فيطبـع ركائزها السياسية والاجتماعية والصحيـة والزراعيـة والسكنيـة ، والارشادية والعلمية والصناعية في تفاعلاتها الاقليمية والدولية وعلى مختلف الصعدان بطابع خاص هو طابع الايمان بالشعب وبايران وتاريخها وبالانسان وحقه في الحياة الحرة الهانئة .

***

لقد عرفت ايران في السادس والعشرين مـن كانون الثاني يناير اكبر ثورة اجتماعية انسانية ، ثورة ديمقراطية فريدة ، ثورة قال الشعب كلمته فيها قبل تنفيذها عندما اعلن باغلبيته الساحقة تأييده لبرامجها الشاملة ومن هنا كانت هـذه الثورة حدثا مميزا في تاريخ الامم بالنسبة لمفهوم الثورات التي غالبا ما تكون ثورة فرد او افراد على جماعة او تكون ثورة جماعة على فرد او افراد ذلك لان هذه الثورة التي اختمرت في وجدان جلالة الشاه آريا مهر محمد رضا بهلوي الـذي وصلت بـه رهافـة الحس ورقة العاطفة وصادق الشعور ليقول « لقد كنت اشعر من صميم قلبي بوصفي الرئيس الاعلى للبلاد انني انا المسؤول عن مصير كل هذه

الجماهير العظيمة المحرومة في البلاد وأن الواجب على انقاذها من الحالة السيئة التي تعيش فيها » لان هذه الثورة النابعة من مثل هذه المشاعر الانسانية كانت ثورة « الملك والشعب » اي ثورة الامة الايرانية بجميع فئاتها ومن هنا كانت لهذه الثورة نواميس وخصائص مميزة لا تستقيم ولا يمكن ان تستقيم الا للقادة الذين لهم مثل ايمان جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي بشعبهم وبحق هذا الشعب في الحياة والا لمن كانوا يحملون مثل مشاعر جلالته وصدقها وابعادها الانسانية فيرون في الثورة سبيلا لارساء العدالة الاجتماعية لا طريقا لتغرير الشعب بما يسمى بالمكاسب الثورية وذلك لقناعة جلالته بان المكاسب انما هي مغانم لجماعة حققتها فئة على حساب خسارة منيت بها فئة اخرى ولان الثورة التي اعلنها انما هي ثورة للجميع تصيب بخيراتها وعدالتها ومنجزاتها الجميع لا فئة على حساب فئة وطبقة على حساب طبقة ولان الثورة الحقة لا تمييز فيها بين المواطنين ولان العدالة الاجتماعية التي تقيم التوازن بين مختلف الطبقات وتزيل الفوارق الاجتماعية بينها لا تحقق مكاسب على حساب خسارة ، فحق الجميع فيها مصان والمنجزات ملك للجميع يغرفون من مناهلها بالقسطاس ومن هنا كانت الثورة البيضاء ثورة ايرانية اصيلة تتمشى مع التقاليد والنفسية الايرانية فلم تقدم للشعب كبضاعة مستوردة لانه لا يليق في الاساس بشعب كان طوال آلاف السنين

خلاق الفكر ومبدع الفلسفة والمنطق ان يرتـدي ثوبا لسواه مستعارا •

وايران الحديثة ، ايران جلالة الشاه محمد رضا بهلوي في تركيزها على ارساء العدل الاجتماعي انما تكمل بذلك شريعة متوارثة وترد على محرضات بيئة اصيلة اشاعت العدالةالاجتماعية في ربوعها منـذ عهد أحشويروش حيث كانـت قواعـد توزيع العمال في ذلك العهد تسير وفـق النظـم الاجتماعية التي عرفها انسان الثلث الاخير مـن القرن العشرين والالواح المكتشفة في تخت جمشيد تتحدث كثيرا عن سنة التشجيع واسلوب المكافآت التي كان يتمتع بها العامل الايرانـي في تلـك العصور في الحين الذي كانت فيه البلاد الاخرى كمصر الفرعونية والصين القديمة لا تعرف غير سياسة السخرة والاكراه والارهاب لاجبـار العمال على انجاز الاعمال كبناء الهرم الكبير وتشييد سور الصين حتى ان هذه الظاهرة ظاهرة الاهتمام بالعمال في ايران قد استحوذت على اعجاب العالم الفرنسي الكبير « رومان كرشمن » الذي قضى معظم حياته في البحث والتنقيب عن معالم الآثار الايرانية فقال : يجب ان لا نتوقع حقا ان تكون في ايـران في تلك العهود انظمة مدونة بشأن العمال ولكن ما تحت ايدينا من دلائل واضحة عن اوضاع هؤلاء يمكننا ان نقول بصورة كليـة ان الدولة في ذلك

الحين كانت تعنى بشؤون العمال وكانت تنظم العمل واجور افراد الطبقة العاملة .

ان الثورة البيضاء التي اعلنها جلالة الشاهنشاه هي ثورة ترتوي جذورها من التعاليم السمحاء التي تحدث عنها جلالته فقال « اننا ننهج في هذا المضمار بصورة عملية تلك المبادىء الدينية والخلقية والفكرية المتسامية نفسها التي كانت طوال آلاف من السنين الصفة المميزة والطابع الاساسي للثقافة والحضارة الايرانية العتيدة .

ولقد علمتنا التعاليم الدينية سواء اكانت تعاليم زرادشت القديمة او احكام الاسلام السمحة وكذلك تعاليم الفلاسفة واراء المفكرين والشعراء والكتاب الايرانيين ان حاجة اي مجتمع تكمن في روح المحبة والتعاون والتفاهم ولقد آمنا دائما بان الظلم والخداع والحقد والانانية هي من نزعات الشيطان ورمز للدنس والظلام وكان شعارنا دائما التمسك بالعدالة والصدق وحب النوع البشري وكنا نعتقد ايضا ان المجتمع الانساني لا يمكن ان يظفر بالنصر والتقدم نحو آفاق الكمال الا على ضوء هذه القيم السامية .

ان اية سياسة تستند الى دعائم العداوة والبغضاء وشق الصفوف والى اغناء جماعة لحساب جماعة ثانية واستغلال فئة او

فئات اخرى لا يمكن اطلاقا ان نرضى بها لان مثل هذه السياسة وهذه الاهداف لا تنسجم قط مع روحنا القومية ومع ثقافتنا واسلوب تفكيرنا » .

أجل فالثورة الايرانية البيضاء هي الثورة التي خبرت ارقى النظريات الاجتماعية فمحصتها واختارت من بينها اصوبها وافضلها لذلك فهي تقول مع العالم السويسري الكبير ليون فالراس : « ما لم توزع الثروة بين افراد المجتمع بصورة عادلة فان كثرتها والحالة هذه لا تبدو شيئا هاما ذا بال » ، كما انها تقول في الوقت نفسه مع العالم الاقتصادي البريطاني الشهير « جونس » « ان واقعية هذا العصر هي في امتزاج مصالح اي عامل مع مصالح سائر العمال وارباح كل رأسمالي مع ارباح غيره من الرأسماليين فينبغي والحالة هذه ان تنصهر مصالح هاتين الطبقتين بعضهما في بعض حتى يتولد بتعاونهما اقتصاد خلاق وسليم » . وهي هي الثورة المجيدة التي ترى في القول التالي للفيلسوف اليوناني « سينيكا » نظرة انسانية واكثر واقعية حين يقول : « ان هؤلاء الذين نسميهم عبيدا هم في الواقع بشر ، ولئن كانوا لك اصدقاء ضعفاء عاجزين الا انهم من حيث الخلقة والجنس لا يختلفون عنك في شيء يعيشون معك تحت سماء واحدة ويتنفسون كما تتنفس وكما تحيا وتموت كذلك هم مثلك يحيون

ويموتون وهي تلك الثورة التـــي تبلغ قمة فيضها الفكري عندما تقول مع الامام علي بـــن ابـــي طالب (ع) « ان للذين يعملون بسواعدهم ويعيشون بعرق جبينهم حقا علـــى الناس كافة فلا بد ان تمنح لهم اجور عادلة وان لا يجحف احد بحقوق اتعابهم » •

ان ثورة هذه ضوابطها ومن مثل هذه المنطلقات تعمل لازالة الفوارق المجتمعية في ايران لهـــي بحـــق ثورة فريدة لا تضاهيها ثورة اخرى في التاريخ لان مسحتها الانسانية تسمو بها لتصل الى مرحلة الرسالات السماوية التي تغرف الثورة البيضاء من مناهلها لتجعلها ظاهرة مميزة تأسر عطاءاتها الباحث المدقق فيعكس له كل بعد من ابعادها صورا زاهيـــة مشرقـــة تعكس بدورها اطلالات راقية فتسهم هذه كذلك في اعطـــاء مضامين جديدة لهذه الثورة المباركة وذلك في تواصل بديع بين الوسيلة والغاية وبين المنطلق والمثال •

***

٤

منجزات الديمقراطية

« لكل فرد من سكان البلاد الحــق في ان يساهم في اقرار الامور العامة والاشراف عليها » .

هذا هو المفهوم الديمقراطي العريق الــذي تضمنته مقدمة الدستور الذي ينظم شؤون الحكم في ايــران منطلقا بذلك من قواعد الديمقراطية الاصيلة الحقة التــي لا تعرفها الا البلاد التي نمت جذور واقعها في ديمــة العدالة والمساواة ليعطي للايرانيين حكما نبيلا عادلا يؤمن «بان التقدم الحقيقي لمدنيتنا انما هو في ان نحطم اكثر فاكثر وباستمرار هذه الاصفاد التي قيدت بها الاقلية المتميزة طوال القرون العديــدة ايــدي الاكثريــة المحرومة في المجتمعات والقيود التي وضعتها في ارجلها » « وذلك للتمكن من تنفيذ العدالة الحقيقيــة اي العدالــة القضائيــة المقترنة بالعدالة الاجتماعية ، والحقوق السياسية المترافقة مع الحقوق الاجتماعية

والديمقراطية السياسية المتوائمة مع الديمقراطية الاقتصادية التي ليست هي اليوم من الواجبات الوطنية للدول والحكومات فحسب بل انها هدية يجب على كل حكومة ان تقدمها للمجتمع البشري والسلام العالمي » كما يقول جلالته .

ان ثورة السادس والعشرين من كانون الثاني التي اعلنها جلالة الشاهنشاه تؤمن « بان الانتصار الحقيقي للشعوب في هذا العصر ليس في مظاهر طاقتها المادية والعسكرية بل هو في مدى تغلبها على الفقر والجهل والامية والمظالم القضائية والاجتماعية وكذلك في مدى نشرها للعلم وضمانها لمستوى حياة اقتصادية افضل وتأمينها لرفاهية اكثر ولعدالة اجتماعية اكمل للافراد ، لان النضال الحقيقي للمجتمع البشري اليوم انما هو كفاح الانسان للقضاء على الفوارق والمظالم الاجتماعية القومية والدولية » .

ومن اجل بلوغ هذه الاهداف فقد استطاعت هذه الثورة الانسانية العادلة من ان تحقق في شتى حقول الحياة منجزات معجزة تتحدث عنها الارقام التي سجلتها حتى الآن :

فلقد حققت ثورة السادس والعشرين من كانون الثاني في القطاع الزراعي نهضة شاملة افاد من خيراتها ما يزيد على الـ ٢٫٢١٥٫٥٩٠ عائلة يناهز تعداد نفوسها نحوا من

١١٫٤١٥٫٢٣٦ شخصا كما نفذ الاصلاح الزراعي في ما مجموعه ٥٢٨٠٨ قرية و ١٧٦٤٤ مزرعة هذا الى جانب مشاريع التحريج وانشاء الغابات الصناعية التي غطت بحزام اخضر سواحل بحر الخزر وسفوح جبال البرز الشمالية بلغت مساحته ٣٫٤٠٠٫٠٠٠ هكتارا كما غرس حوالي ٩ ملايين اصلة وفق ٧٨ طريقة غابية ليكون من الممكن تأمين حاجة البلاد من الاشجار التي تبلغ قرابة ٣٠٠٫٠٠٠ متر مكعب سنويا فضلا عن ٢٠٠٫٠٠٠ طن من الفحم المجهز اللازم لاحتياجات البلاد عن عام واحد وذلك في نطاق سياسة صيانة الغابات والاحراج وايجاد الغابات الصناعية والمراعي اللازمة لزيادة الثروة الحيوانية اللازمة لسد احتياجات البلاد من اللحوم .

❀

والثورة البيضاء انطلاقا من الحديث الشريف القائل « ان المسلمين شركاء في الماء والنار والكلأ » اممت الغابات والاحراج في ايران التي تعد من اهم المنابع والثروات الاقتصادية في البلاد فاصبحت ملكا للحكومة وذلك لان اصل ملكية الارض في الاسلام هو امر يعود الى استصلاح الاراضي وبالتالي فانه لا يمكن ان تختص الغابات والمراعي بفرد دون اخر بل ان تكون ملكا للامة جميعها وهكذا فان الثورة المباركة عملت بما نصت عليه الاحكام الاسلامية فاعطت الثروة لاصحابها والارض للمنتفعين الحقيقيين منها .

ولتدعيم الاصلاح الزراعي تـم تأميم ٥٥ معمـلا حكوميا لصناعة السكر والنسيج وصناعة المواد الانشائية وصناعة القطن وبذور القطن وصناعة المـواد الكيماوية والغذائية فتحولت الى معامل ذات اسهم تشرف عليها شركة هـي « شركة اسهم المعامل الحكومية » التي ضمن البنك الزراعي الايراني ربحا لها لا يقل عن الـ ٦ بالمئة • مما ادى الـى ارتفاع مستوى الانتاج في هذه المعامل بشكل ملحوظ فاضحى انتـاج معامل السكر ١٤٠ر٠٠٠ طن بدلا من ٨٠ر٠٠٠ طـن وتحسن المستوى في معامل النسيج التي تضم قرابـة الـ ٧ر٠٠٠ شخص وكذلـك في معامل صناعة القطن وبذوره ومعامل صناعة المواد الكيماوية والغذائية وغيرها التي اعدت لها خطة خمسية ستصل بهـا الـى المستوى المنشود والتي رسمت الثورة البيضاء حدود ابعاده ومنطلقاته •

⁂

ولقد كلفت الثورة السادس والعشريـن مـن كانون الثاني اصحاب المصانع التي يشملها قانـون العمل ان يبادروا الى عقد عقود جماعية على قاعدة منح المكافآت المتناسبة عن طريق الانتاج او التوفير في النفقات او التقليل في التلفيات او اسهام العمال في ارباح المصانع او اتخاذ اساليب اخرى مماثلة لتوفير مضاعفة ارباح العمال على ان يتم العقـد بمشورة ممثـل عمال المصنع او نقابة العمل المتمتعة باكثريـة الاصوات وان تـرسل نسخة من العقد

المذكور الى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية اما اذا لم يوافق صاحب المعمل على عقد العقود الجماعية فانه حينئذ يكون مكلفا بجعل عماله مساهمين في توزع اربـاح المصنع ويمكن ان يصل مقدار السهم والحالة هـذه الى الـ ٢٠ بالمئة مـن ارباح المصنع الصافية • فحققت هذه الثورة بذلك نصرا للعمال شمل اكثر من ١٠٠٠٠٠ر١٠٠ عامل •

ومن أجل تحقيق مزيد من العون للعمال تأسس مصرف بأسم « مصرف الترفيه عن العمال » كلف باعطائهم القروض للمساهمة في حل مشاكلهم فتم بارشاد هذا المصرف وتوجيهاته تأليف اكثر من ٢٥٠ شركة تعاونيـة ذات اعتمـادات عاليـة تضم اكثر من ١٢٠٠٠٠ر١٢٠ عامل منذ الربع الثالث مـن عـام ١٩٦٣ حتـى الان فصرفت ما يربو علـى الـ ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ ريال لاكثر من ٠٠٠ر٧٥ شخص منهم كما قام المصرف المذكور بتقديم ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠٠ر١ ريال من اجـل اعداد المساكن وترميـم البيوت السكنية للعمال واعدادها او من اجل تسديد ديونهم المختلفة •

وبفضل سياسة هـذه الثورة الرشيـدة توسعت البرامج التعليمية في المصانع الا تناجية لتدريب العمال على الاعمال المهنية فتخرج اكثر من ٥٠٠ر٢ فني مدرب وما يقرب من ٠٠٠ر٥ مشرف توزعوا على مصانع البلاد بعد ان تعلموا اصول التدريب المهني

كما انشيء ما يزيد على الـ ٥٠٠ صف مدرسي لمحو الامية كما انشئت صفوف خاصة للتدرب على المشاكل التي يمكن ان تحدث بين العمال وارباب العمل وذلك في اكثر من ٣٠٠ مصنع في البلاد فالتقت هذه الثورة الرائدة مع المضامين التي المح اليها العالم الاميركي الكبير هنري جورج حين يقول « ليست اغنى البلاد هي تلك التي تكون الطبيعة فيها اغنى ، بل ان اغنى البلدان هي التي تملك عمالا اكفياء واكثر استعدادا » .

* * *

٥

الحرية السياسية

لقد كانت الانظمة المختصة بالانتخابات حتى عام ١٩٦٣ رغم الايمان والتفاني من اجل القضاء على الاستبداد واقرار الحرية على يد فئة من الذين اوجدوا النهضة الدستورية ، لقد كانت هذه الانظمة كما يقول جلالته : « موضوعة بصورة لا يمكن معها ان ينتخب لعضوية البرلمان فلاح بسيط او ملاك صغير او عامل اجير بل لم يكن لهؤلاء حتى اثر في انتخاب غيرهم ، ذلك لان جل هؤلاء كانوا اميين وكانت اصواتهم تخضع عن طريق البيع والشراء لرغبات اصحاب النفوذ من الاقطاعيين والارستقراطيين » فكانت طبقة الاقطاعيين والارستقراطيين هذه وهي الاقلية الفاسدة في غالبيتها التي تعمل دائما في خدمة المصالح الاجنبية وقد شاهدنا ، كما يضيف جلالته « بعد ذهاب والدي كيف ان

شؤون البلاد كانت في الظاهر تحت تصرف جماعة من الايرانيين بينما هي في الواقع تدار من جهة بوحي من السفارة الانكليزية ومن جهة اخرى بوحي من السفارة الروسية » . ولا نزال نشعر حتى اليوم بان السياسات الاجنبية « تفكر في امكانية تشكيل احزاب من صنائعها تمد من خلالها عن طريق تشتيت الآراء وتفريقها نفوذها الى البرلمان الايراني » لتظل لها مكانتها وسيطرتها على الجهاز التشريعي في البلاد .

***

لقد كانت الانتخابات في السابق تجري دائما في جو تسوده الاطماع والحيل والتهديدات والتزييفات التي كانت توجه الانتخابات « وتزييف آراء الناخبين » وتصل الى حد « القتل والاغتيالات الدامية والحركات الفوضوية » لذلك فقد كان من اللازم اولا وقبل كل شيء المبادرة الى تعديل قانون الانتخاب واستبداله بقانون سليم « يحول دون تدخل اصحاب النفوذ في امر الانتخابات ، واستغلالها لصالحهم وافساح المجال لدخول ممثلي طبقات الامة كافة ولا سيما الفلاحين والعمال الى دار التشريع القضائي » . وهذا ما حققته الثورة البيضاء بالفعل التي لم تقف آفاق شمولها عند هذا المدى بل تعدته الى

نطاق تحرير المرأة فمنحتها حق التصويت والانتخاب فاكملت بذلك للمجتمع الايراني قوتـه وتفاعلـه الاجتماعي مرتكزة بذلك الى مبادىء اسلامية سامية في دور المرأة وحقها الاجتماعي وردت في القرآن الكريم مثل « للرجال نصيب مما كسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » او من احاديث الرسول الاعظم (صلعم) في قوله « الجنة تحت اقدام الامهات » و « ما اكرم النساء الا كريم وما اهانهن الا لئيم » فمحت بذلـك وصمـة عـار على جبين الامة وقضت على حالة كانت تغاير روح الشريعـة الاسلامية المقدسة التي تمنح المرأة الحرمة والكرامة والحقوق التي لا توجد نظائرها حتى في بعض البلدان المتمدنـة في العالـم اليـوم لان الشريعة الاسلامية السمحاء قد اقرت للمرأة حقوقا تساوي حقوق الرجال في كثير من الامور سواء في التجـارة والرهـن والعطاء والبذل والمشاركة والتمويل والايجار والضمان والوديعة وابرام العقود التجارية وعدد من المواضيع الاخرى وذلك منذ ١٣٩٠ عاما .

وهكذا فان الثورة البيضاء بهـذه الحقـوق التي منحتها للمرأة وهذه المساواة قد ازالت الظلم الاجتماعي الغاشم فشرعت للنساء الايرانيات مجالات واسعـة لازدياد فعاليتهن في شؤون الحياة القومية المختلفة لتقريب مستوى حيـاة ايران الاجتماعية الى مصاف ارقى المجتمعات العالمية وذلك بتدعيم القوى الفكرية

والمعنوية في المجتمع الايراني بطاقات فاعلـــة ، لان علـــى هؤلاء الايرانيات يقوم واجب تلقين اصول هذه الثورة الـــى اولادهن الذين سيناط بهم امـــر قيـــادة ايـــران الغـــد فالمـــرأة الايرانية كما حدثنـــا عنهـــا سطـــور التاريخ قـــادرة علـــــى ان تحقق فـــي مجتمعهـــا كـــل مجيـــد وفـــي مختلف قطاعـــات العطاء الفكـــري والاجتماعـــي والسيـــاسي والعلمـــي والتقني ومـــا « بوران دخت » و « آزرميدخت » اللتان تربعتا على العرش في العصر الساساني الاخير الا خير مصداق علـــى مـــا نقول ناهيك بـ « رودابة » و « تهمينـــة » و « فرنكيـــس » وغيرهن اللواتى اظهرن ضروبا مدهشة من البطولات في الدفاع ضد الطورانيين •

لهذا فان لثورة السادس والعشرين من كانون الثاني التي حققت مثل هذه المنجزات في القطاع السياسي قد فتحت بيد المجد ابواب التاريخ الحديث كلـــه لتصل صفحاته بتلـــك الصفحات التليدة من تاريخ ايران بلد الحضارات والثقافة العريقة •

٦

العلم والمعرفة

ان الثورة البيضاء المباركة التي هي بحق ثورة العلم والمعرفة والخبرات قد أخذت على عاتقها تحقيق اعرق رسالة في الحضارة الايرانية ، الا وهي نشر الثقافة والعلم في ربوع البلاد منطلقة بذلك من اصول انسانية وتاريخية واجتماعية عريقة ومن مذاهب اخلاقية وفكرية وفلسفية راسخة تستقي جذورها من حديث الرسول الاكرم (ص) يوم قال : « لو كان العلم في الثريا لتناولته ايد من فارس » لتتعاطف مع مبدأ زرداتشي يقول: « حث زوجتك واولادك على العلم والفن واذا كان لديك طفل صغير ذكر او انثى فابعث به الى المدرسة لان العلم هو ضياء العين ونورها » ولترد بذلك على تطلعات تاريخ مجيد يمتد الى ما قبل العصر الهخامنشي الذي كتب فيه المؤرخ اليوناني شرابون يقول : « ينهض الشبان الايرانيون قبل بزوغ الشمس من النوم

على اصوات النفير ثم يجتمعون بعضهم مع بعض فيوزعون الى فئات تضم كل منهم خمسين شابا ويعهد بأمر كل فئة الى مشرف يختص بها وكل مشرف يأمر فرقته بالجري مسافة ثلاثين او اربعين ستاد (اي ما يعادل من ٥ ــ الى ٧ كيلومترات) ثم يمتحنهم في درس اليوم الماضي ويلقي عليهم بعدئـــذ درسا جديدا ، وتلتقي بهذا مع التعاليم الاسلامية السمحاء التـــي تقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » فتنشر الوعـــي والعلم والثقافة وتحمل ضياء المعرفة تطرد بها ظلام الجهل والتخلف وتمحو الامية العمياء وتعلي صروح مجد الانسان الايراني المنيعة .

*

وثورة السادس والعشرين مـــن كانون الثاني المجيدة التي تتبعت في خطاها قول الخطيب الروماني شيشرون الذي قال منذ حوالي الفي عام : « اي منحة تستطيع الحكومة ان تمنحنا اياها اكبر من منحة تعليم شبابنا وتثقيفهم » ؟ قد استطاعت عن طريق ما اسمته الثورة « بجيش العلم الايراني » الذي بلغ تعداد افراده ما يزيد على الـ ٣٢ الفا من تشريع محاريب القراءة والكتابة امام ما يقارب الـ ٤٥٠،٠٠٠ ولدا و ١٢٠،٠٠٠ بنتا و ٢٤٠،٠٠٠ من الرجال الاميين و ١١،٥٥٥ مـــن النساء الاميـــات بالاضافة الى

استطاعتها عن طريق هذا الجيش من انشاء ما يناهز الـ ١٠٫٠٠٠ بناية مدرسية فضلا عن ترميم ٦٫٠٠٠ بناية مدرسية اخرى وترميم ما يقارب من ٧٫٠٠٠ مسجد وتشييد ٩٠٠ مسجد جديد وانشاء ما لا يقل عن ٨٠٠٠ مزرعة نموذجية وغرس ما يربو على المليون ونصف مليون شجرة وتسجيل اكثر من ٧٫٥٠٠ جمعية باسم « جمعية الاسرة والمدرسة » ووضع قرابة الـ ٣٠٠٠ صندوق للبريد .

والاندفاع الكبير الذي عمل به جيش العلم جعل كلفة تعليم الفرد الواحد تدور في حدود الـ ١٠٠٠ ريال فقط في العام مع ان الكلفة الفعلية لتعليم الفرد في المدارس العادية لا تقل عن الـ ٣٠٠٠ ريال وهكذا فقد حقق هذا الجيش المعجزات لبلده وجعل عدد الطلاب في المدارس الايرانية لا يقل عن الـ ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ طالب وطالبة ينهلون المعرفة على ايدي اخصائيين في شؤون التربية والتعليم يتجاوزون تعداد الـ ١٠٠٫٠٠٠ معلم واستاذ في رحاب ٣٠٠ مدرسة اطفال و ١٤٫٠٠٠ مدرسة ابتدائية و ١٣٠٠ مدرسة ثانوية و ١٠٠ معهد فني و ١٠٠ دار للمعلمين الابتدائية وكليتان صناعيتان وسبع جامعات هذا عدا المدارس الليلية والمعاهد الاخرى التي تسهم جميعها في خلق الجيل الايراني الجديد .

ان ثورة السادس والعشرين من كانون الثاني ١٩٦٣ هي ثورة انسانية وبشرية بل هي ثورة الرقي الانساني الذي وصل في صادق مشاعره الى حد الشفافية ويكفيها مثلا انها في مفتتح الجلسة العامة الثالثة عشرة لمنظمة اليونسكو في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٤ قد خاطبت بلسان جلالة الشاهنشاه جميع الملوك ورؤساء الدول في العالم للتعاون على محو الامية بعد ان بينت ان وجود قرابة المليار من الاميين في مطلع الثلث الاخير من القرن العشرين لا يعتبر ادانة اخلاقية لبقية سكان العالم وحسب بل جريمة انسانية واقتصادية في آن معا لانها تحرم الجنس البشري من ثلث طاقاته وفعالياته الفكرية والمادية على حد سواء . فاقترحت تخصيص جزء من الميزانيات العسكرية لدول المعمورة في سبيل مكافحة الامية فكانت بذلك البلد الاول في الكرة الارضية كلها الذي يضع للامية برنامجا فعالا للقضاء عليها . وهذا ما حدا بالحكومة الايرانية لان تقتطع سنويا مبلغا قدره ٧٠٠ر٠٠٠ دولارا من موازنتها العسكرية لمكافحة الامية تضعه في تصرف منظمة اليونسكو حاثة بذلك الدول على ان تحذو حذوها وتنسج على خطاها للعمل على تعميم المعرفة والعلم على سائر افراد الجنس البشري .

⁂

هذا وان توثبات شمولية الثورة البيضاء قد اضافت الى اصول

الثورة الستة التي تتمثل في الاصلاح الزراعي وتأمين الغابات والمراعي وبيع اسهم المصانع والمعامل الحكومية لتغطية الاصلاح الزراعي واشراك العمال في ارباح المعامل والمصانع واصلاح قانون الانتخاب وجيش العلم ، اضافت الى اصول هذه الثورة أصولا ثلاثة اخرى تتمثل في جيش الصحة وجيش الارشاد والاعمار وبيوت الانصاف لتعطي للتكامل والشمول في الحياة ابعاده الثورية كلها في عملية تقييم وخلق جديدة تشمل كل شأن من شؤون الحياة وتهتم بكل ما من شأنه ان يجعل المواطن في ايران يحيا حياة السعادة والعزة والهناءة والبحبوحة والصحة .

ففي القطاع الصحي انشيء جيش من الاطباء المتخرجين وحملة الليسانس والثانوية يقوم افراده ككتائب سيارة لأداء الخدمات اللازمة في القرى والارياف فانطلق شباب هذا الجيش بخبراتهم وكفاءاتهم ورقيهم ينشرون الوعي الصحي في ارجاء البلاد ويكافحون المرض ومسبباته بأساليب علمية راسخة . ولا مشاحة فالعناية الصحية في تاريخ ايران تراث تليد تحدث عنها احد كهنة المعابد الكبرى في مصر القديمة في وثيقة انتقلت من مصر الى روما بواسطة القيصر الروماني «اوريانوس» وعثر عليها في « تيفولي » قرب روما وجاء فيها :

« ان الشاهنشاه داريوس ملك مصر العليا ومصر السفلى

امرني حينما كنت اعيش في بلاطه ان ارحل الى مصر وانشيء في عاصمتها مدرسة طبية وان اوفر الوسائل الدراسية للطلاب المصريين فيها فرحلت الى مصر وقمت بما كان قد امر به الشاهنشاه وقد وفرت لهذه الجامعة الكتب والادوات اللازمة ودعوت ، الشبان للالتحاق بها ووكلت امر تعليمهم الى المهرة من الاساتذة ، ذلك لان الشاهنشاه كان قد ادرك فوائد الطب ادراكا تاما وكان يريد بهذه الطريقة انقاذ حياة المرضى المصريين من الموت » .

اذن لا غرابة في بلاد كانت هذه حالها مع بلاد كانت خاضعة لنفوذها منذ آلاف السنين ان نراها اليوم تعبيء جيشا كاملا للصحة يعمل على رفعة مستوى مواطنيها الصحي لينعموا بالسعادة والبهجة والحيوية والرفاه .

ان جيش الصحة الذي يتألف من الاطباء واطباء الاسنان والصيادلة والمهندسين ومساعدي الاطباء وحملة شهادات الليسانس والماجستير وخريجي الثانوية والذي يناهز تعداده قرابة العشرة آلاف متطوع يمارسون في شتى حقول اختصاصهم في امراض القلب والاذن والحنجرة والانف وامراض الاطفال ومكافحة الاوبئة ويتوزعون على وحدات طبية ثابتة وسيارة تزيد في

تعدادها على الالف وحدة صحية تؤمن الخدمة العامة لما يزيد عن الـ ١٤٠٠٠ قرية يربو عدد سكانها على الخمسة ملايين نسمة ، ان جيشا بهذا القدر وعلى هذا المستوى من الكفاءة استطاع بالفعل ان يبعد عن ايران خطر الاوبئة الفتاكة ويرفع المستوى الصحى في البلاد ويضع الاسس الثابتة لمستقبل صحي باسم للبلاد ويضعها من مصاف ارقى الدول التي تحظى الرعاية الصحية فيها بقسط وافر من الاهتمام .

⁂

أما جيش الارشاد والاعمار فقد آلى على نفسه ان يقوم بعملية مسح بشرية للقرى في ايران فيدرس الاحوال الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والزراعية للقرى الايرانية فينظم فيها بطاقات خاصة بكل قرية ليؤمن احتياجاتها في شتى المرافق في ضوء مثل هذه الدراسة التي يضطلع بأعبائها فريق كبير من شباب ايران الجامعي الذي وضع نصب عينيه احلال ايران في مكانتها اللائقة بها تحت الشمس وجعل قراها نموذجا فريدا في تنظيم القرى في العالم بحيث تتمتع بأكمل المستحدثات الفنية الراقية من مواصلات وكهرباء وماء ومبان صحية ومدارس ونوادي ومكتبات عامة ودور للسينما ومنظمات تعاونية تعليمية واجتماعية وتوفير مؤسسات للتأمينات المختلفة بحيث تصبح القرية في طاقاتها قادرة على مجاراة ركب المدنية المتطور فتسهم في بناء حضارة الانسان بشكل فعال .

٧

العدل أساس الملك

العدل وايران توأمان يتعاطفان منذ الازل وقد حبلت بطون التاريخ بالحديث عن ايران وعدالتها فأشاد « هيرودوت » المؤرخ اليوناني وكثير غيره من مؤرخي اليونان بالعناية البالغة التي كانت للايرانيين في اجراء الاحكام كما كتب « كزنفون » في الموضوع نفسه يقول : « ان الايرانيين يجلبون شبانهم غالبا الى المحاكم ليشهدوا سير المحاكمات عن كثب وليطلعوا منذ مطلع شبابهم على اساليب تحقيق العدالة » .

ولسنا بحاجة بالطبع للحديث عن وثيقة الحرية التي اصدرها « كوروش » فأعطت للجماهير الغفيرة من المحرومين والاسرى الذين كانوا تحت نير الاحكام الجائرة حريتهم كما اننا لسنا كذلك بحاجة لان نورد قول داريوش الماثل في نقش رستم والذي فيه يقول : « ان الاله أهورمزدا اعانني لانني واسرتي لم

نكن سيئي القلب غير منصفين وقد بذلت الجهود لاستتباب حكمي وسلطاني على اساس الحق والعدل » .

اجل لسنا بحاجة لان نورد ذلك او نستشهد بحكم الاعدام الذي اصدره قمبيز علـى قاض عظيم الشأن كان قد اخذ رشوة وامر بأن يسلخ جلده ويغطي به المسند الذي كان يجلس عليه في حياته ليتذكر ذلك كل قاض يجلس عليه بعده .

نعم لسنا بحاجة لذلك للتدليل علـى اسس العدالة العريقة في ايران طالما ان نواميس هذه العدالة ووضوحها وثباتها هو مما يشار اليه بالبنان حتى ان التوراة نفسها قـد اشارت اليه بقولها « اهو قانون ايران حتى لا يكون مما لا يقبل التغيير ؟ » .

وايران الثورة البيضاء التـي تقدس العدل وتعرف منزلته بين الشعوب وتعرف حقيقة تاريخ ايران العريق في نشدان التطلع للعدالة قد اقامت بيوت الانصاف ، بوحي من هذه المعرفة رائدها في ذلك نص من القرآن الكريم يقول : « ان اللـه يأمر بالعدل والاحسان » ونص آخـر يقول : « ان اللـه لا يحب الظالمين » يكملهما حديث شريف للرسول الاعظـم (ص) يقول : « الملك يبقى بالكفر ولا يبقـى بالظلم » ويوضحها الامـام علي بن ابي طالب (ع) في كتاب له الـى مالك الاشتر يقول : « اني سمعت

رسول الله (ص) تكرارا يقول : « لن تفلح امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع » وهكذا فان ثورة السادس والعشرين من كانون الثاني المباركة تغرف من مناهل هذا التراث وهذه التعاليم السمحاء فتقول بلسان جلالة الشاهنشاه « ان اي قوانين واي انظمة واي مباديء تقوم على الظلم والاضطهاد لن تعيش » وهي من اجل تأمين العدالة وتوفير اسباب التفاهم والتواد والالفة بين الناس قد اقامت بيوت الانصاف التي يزيد عددها على الـ ١٠٠٠ بيت لتحل النزاعات التي تنشأ في القرى بالطرق الحبية وبطريقة التراضي بين الطرفين قبل عرضها على المحاكم القضائية كدعاوى رسمية وذلك على يد اعضاء خبراء متخصصين في شؤون العدل يشكلون من خمسة اعضاء من معتمدي القرية ممن اختارهم الاهالي باشراف من محاكم الاقضية لمدة ثلاثة اعوام على ان يؤدوا هذه الخدمة طوال تلك المدة بالمجان فيسهموا في ارساء دعائم بناء ايران الحديثة ايران الثورة البيضاء التي تتطلع لان تكون دولة حديثة راقية متطورة تفوق بما لها من تاريخ وتراث تليدين ارقى المجتمعات في عصرنا الحاضر .

٨

الرجعية الفاسدة

لقد راع العناصر الرجعيــة السوداء التــي لا يهمها الا ان يغرق الشعب في دياجير الــذل والفقر والظلم ، والقوى الهدامة الحمراء التي تسعى لتقويض دعائــم الوطــن ، راعها مخططات الثورة البيضاء التي تقطع عليها سبل المزايدات فتصدت لهــذه الثورة المباركة منذ تفجرها بمختلف السبل والوسائل فوصل بها الحقد الى حد افتعال الحوادث المفجعة ولم يرعو الاوباش الحاقدون عن مهاجمة النساء البريئات في الشوارع وتحطيم السيارات التي تحمل الطالبات وحرق مكاتب الحديقــة العامــة وتهديم النادي الرياضي ونهب الحوانيت والمحــلات التجارية لافتعال حوادث تغرق فيها البلاد في دياجير الفتنة العمياء والفوضى ليظل للاقلية الحاقدة الفاسدة نفوذ وليظل للاجنبي يد يدسها في امور الشعب الايراني ليعمل على اعاقة تحقيــق منجزات الثورة البيضاء التي تنهض بجميع فئات الشعب في تلاحــم يحــول دون نفث سموم

الحقد الطبقي وتآخ يحول دون توسل الاجنبي فئة من الناس لضرب فئة اخرى لتأمين مصالحه ونفوذه في البلاد . وراع العملاء ان تنبري الثورة البيضاء ببرامجها الاصلاحية الشاملة لتحرر الفلاحين من نظام السيد والمسود وتضمن مستقبلا عادلا متطورا لطبقة العمال الشريفة وتوفر حياة كريمة للموظفين الحكوميين المخلصين وتهيء حياة مزدهرة لسائر الطبقات الكادحة لان هم هذه الفئة من العملاء موجه للعمل على توقيف عجلة الاصلاح الزراعي وحرمان العمال من دفع رواتبهم وامتيازاتهم والحؤول دون تحرر نساء ايران من القيود والتقاليد التعسفية ومنع جيوش العلم والصحة والاعمار من الذهاب للقرى والارياف والحؤول دون تعميم اساليب الري والصحة واستعمال الاسمدة الكيماوية وشيوع الزراعة الآلية وصيانة المحاصيل الزراعية لتظل ايران بلدا متخلفا يستطيع الاجنبي ان يلعب في تياراتها السياسية كما يشاء . لذلك لم يحجم هؤلاء العملاء امعانا منهم في السعي للحؤول دون نجاح الثورة البيضاء عن التآمر لاغتيال جلالة الشاهنشاه لاشاعة الفوضى والاضطرابات في ارجاء البلاد وافساح المجال لقيام حرب العصابات في الجبال والغابات حتى تتمكن الدول الاجنبية من التدخل في شؤون ايران وابقائها في وهدة التخلف والحرمان . كما دلت على ذلك اعترافات المتآمرين في غمرة التخطيط التآمري .

ولكن لقد فات هذه الفئة من العملاء ان تاريخ ايران لا يرجع القهقري وان الشاهنشاية الايرانية من كورش حتى بهلوي كانت ابدا بلد الوفاء والبطولات والمنجزات والبلد الذي لم يسجل تدخل الاجنبي فيها نصرا ولم يحقق مكسبا بل كان يندحر على ابواب عنفوانها خائبا يجرجر اذيال الهزيمة والهوان وفات هؤلاء العملاء ان ايران هي البلد الذي يبلغ وفاء الافذاذ من قادته حد نكران الذات فيندفعون لاعلاء شأن بنيه مهما اعترضتهم المصاعب ومهما تصدى لهم المشاغبون او الطامعون بجاه او سلطة او سلطان •

وليس ثمة من ريب بأن طغمة العملاء قد فاتها بأن الاصلاح شريعة في السلالة البهلوية وانها لمثل هذا الشأن قد نذرت نفسها ووقفت طاقاتها كلها وفاتها ان جلالة الشاه محمد رضا بهلوي آريا مهر ينسج على منوال السلف الصالح جلالة رضا شاه الكبير الذي بذل منذ اعتلى العرش سنة ١٣٠٤ جهودا جبارة وعمل ليلا ونهارا في سبيل اعلاء كلمة الوطن وبناء عظمته فشكل الجيش الايراني يوم لم يكن لايران سوى وحدات عسكرية صغيرة ومحدودة يرأسها الاجانب وانشأ الصناعات الكبرى كمعامل السكر والاسمنت والحياكة بعد ان كانت الصناعة مقتصرة على الاعمال اليدوية واسس البنوك الوطنية يوم كانت البنوك الاجنبية تتولى طبع

عملة ايران الورقيـــة وارسى قواعــد ومبــادىء السياسة المالية السليمة وادخل على البلاد الطــرق الزراعيـــة الحديثة كما امن وسائل الاتصال السلكيـــة واللاسلكية وانشأ الصحف الوطنية وطور اساليب التربية والتعليم واسس الجامعة الايرانية وصرف قصارى جهده لرفع المستوى الصحي في ارجاء البلاد وعمل على تحسين وضع المرأة ودعــم الاستقــلال السياسي والغى المحاكم المختلطة التي كانت تابعــة للاجانب فحقــق بذلــك لبلاده من المنجزات ما ساعدها على ان تخطــو خطوات واسعة في مجالات التقدم والتطور ليسلــم مشعــل الاصــلاح البطولــي لجلالة الشاهنشاه محمــد رضا بهلــوي ليكمــل ســيرة المجد الذي لا يستطيع غير العباقرة ان يخطوا في طرسها اسطرا خالدات .

٩

التخطيط الفاعل

ولقد كان للثورة البيضاء التي اعلنها جلالة الشاه آريا مهر تنائج هامة على مختلف صعدان الحياة في ايران بحيث انها دعمت الاستقلال الاقتصادي وادت الى تنفيذ البرامج الصناعية من جهة كما أدت من جهة اخرى الى اتخاذ سياسة وطنية مستقلة بالاضافة الى أثرها الكبير في رفـع المستوى الاجتماعي والثقافي والحياتي والسياسي للشعب الايراني .

والناظر الى القطاع الصناعي فـي ايران يـرى بجلاء تقدم الصناعات الضخمة كصناعة السكر والنسيج التي أسسها المغفور له رضا شاه الكبير كمـا يـرى تقـدم الصناعات المعدنية التي وصلت في تقنيتها وغزارة انتاجها الى مرحلة التصدير للخارج بعد أن اسهمت في سد احتياجـات البـلاد من صناعـات الثلاجات والمدافيء وآلات التبريد أمـا اذا وصل المـراقب في نظرته الى صناعة السيارات الايرانية فـان مشاعـر الاعجاب عنده تمتزج

بمشاعر التقدير وهو يرى السيارات الصغيرة والكبيرة التي تنتجها الخبرة الايرانية والمهارة الايرانية بنفقات زهيدة وهي تزاحم اسواق السيارات في العالم بشكل باهر ، واذا ما استقر نظر المراقب من جديد على تطلعات ايران الصناعية الضخمة لوقف بمهابة امام مشروع اقامة مصنع صهر الحديد الذي سيكون أساس الصناعات الثقيلة التي ستشهدها منطقة أصفهان في المستقبل القريب وذلك بعد ان يؤمن المصنع العتيد انتاج ما لا يقل عن الـ ٦٠٠ الف طن من الحديد والفولاذ سنويا مع طاقة انتاجية تزيد على الـ ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ طن يفجر زخمها زهاء ٥٠ ألف عامل ايراني ٠

واذا ما عرف المراقب ان تكاليف انشاء هذا المصنع العملاق سوف لن تقل عن ٢٨٦ مليون دولار سيتم تأمينها من موارد بيع الغاز الطبيعي الايراني للاتحاد السوفياتي وذلك عبر الانابيب الممتدة من شمال البلاد الى جنوبها ، لو عرف المراقب ذلك لوقف بصدق على بعض ابعاد الثورة البيضاء التي فجرها جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي لتنغمر بفيض من نعمائها وخيراتها الشعب الايراني بجماع فئاته ، على ان التخطيط لبناء ايران الغد ، ايران التكامل والثراء والخيرات والموارد الثابتة المستقرة والبحبوحة والازدهار لا يقتصر

على التصنيع وحـده بـل يتعـداه الـى نطاق تعـدد مصادر الثراء في مختلف القطاعات الاخـرى : الزراعي منهـا والانمائي والانشائي امـا سبيل الوصول الـى هـذه الاهداف فمتنوع ومتشعب يتمثـل في انشـا ءالسـدود لتوفـير الطاقتين المائية والكهربائية لاعمال الري الزراعي والمنشآت الانسانية كافة وعلى هذا الصعيد فقد تم بنـاء السدود الكبرى في البلاد التي يعتبر أهمها سد محمد رضا شاه وسد امير كبير وسـ دالملكة فرح التي تروي مساحة تزيد على الـ ٣٦٠ الف هكتار من الاراضي وتولد طاقة كهربائية لا تقـل عـن الـ ٢٨٠ الف كيلـوات في الساعة الواحدة كما ان هنـاك سدود متعددة هـي سـد فرمناز وسد كوهرنك وسد ساوه وسد مهـا بـاد وسد شاهناز بالاضافة الى السدود الاخرى التي هي الآن في طـور الانشاء في شتى ارجاء ايران لتزيد في مساحة الاراضي المروية الصالحة للزراعة لتصل الى قرابة الـ ٤٠٠ مليون هكتار ولتكون منهلا للخيرات الزراعية وموئلا للثروة الحيوانية المتعددة الصنوف •

⁂

وثورة السادس والعشرين من يناير التي اختمرت في ذهن جلالة الشاه آريا مهر فأعطاها مـن ايمانه القدرة علـى التنفيذ تعطي للتفاعل الانساني اطارا فريدا تجلوه وقائع وجود اكثر من

١٠ محطات اذاعية تزيد قوتها على الـ ٩٠٠ كيلو وات وثلاث محطات تلفزيونية وشبكة تلغرافية طولها ٥٦٫٧٤٣ كيلو مترا وشبكة من الهاتف الآلي منتشرة في سائر ارجاء الرقعة الايرانية تيسر للمواطنين الاتصال فيما بينهم كما ومع سائر ارجاء العالم عن طريق الاتصالات الدولية وذلك لتكون ايران مركز تفاعل انساني وحضاري يسهم في بناء حضارة انسان الثلث الاخير من القرن العشرين ٠

واذا ما اضفنا الى هذه الوقائع وجود ما لا يقل عن عشرات الصحف الكبرى وعدد من الصحف المحلية والمجلات والنشرات التي توزع الواحدة منها ما لا يقل عن الـ ١٠٠ الف نسخة يوميا عن طريق ادارات البريد التي تربو على الـ ١٣٠٠ ادارة لوقفنا على الطموح الكبير الذي تتوخاه الثورة الايرانية البيضاء التي اختطت لنفسها النهج الاجتماعي الذي يتلاءم وطبيعة معطيات تاريخ ايران المجيد ٠

⁂

وايران الثورة البيضاء التي يحدوها مثل هذا الطموح ، طموح التفاعل الانساني قد اعطت لثورتها انعكاسات عالمية تتركز في المبادىء الآتية :

آ ـ السعي لاقرار السلام والتعايش السلمي والتفاهم مع

الدول والمجتمعات كافة حتى ولو كانت لها مثاليات وانظمة حكومية مختلفة .

ب ـ تأييد أي مجهود من المجهودات التي تبذل في سبيل الاستقرار ودعم العدالة الاجتماعية سواء على الصعيد الوطني او الدولي .

ج ـ مساندة اي حركة عالمية يراد بها تقريب المسافات بين المجتمعات الغنية والفقيرة .

د ـ التعاون الدولي لتحقيق الخطط التي رسمت لمكافحة الامية والجوع والمرض والموبقات والنكبات الاجتماعية.

وهي بهدي هذه الخطط الرئيسية ترسم خطوط سياستها العالمية ورائدها في ذلك قول مأثور لجلالة الشاه آريا مهر ورد في افتتاح مؤتمر سياسي دولي في طهران مفاده : « ان القوة والطاقة المادية لا تعطي الحل النهائي للمشكلات في عصرنا هذا ولا شك في ان المدفع كان يمثل الحق بعض الاحيان في الازمنة الغابرة أما الآن فلا يكفي سلطان الاسلحة ليفرض ارادة ما » . مؤمنة كل الايمان بأن تاريخ العالم وان عرف عهودا ما ضمنت فيه الامكانات العسكرية والنفوذ الحربي والسياسي لدولة كبيرة ولفترات قصيرة او طويلة استقرار الصلح واستتباب السلام في

بقاع واسعة من العالم « كعهـد السلام الايراني » الـذي تلاه « عهد السلام الروماني » وكذلك « عهد السلام البريطاني » في الاعصر الاخيرة ، ان تاريخ العالم وان عرف مثل هذه العهود عن طريق القوة العسكرية فانه اليو ملا ينشد الا وجود سلام واحد هو « السلام العالمي » وهذا السلام يتوقف قبل كل شيء لا على وجود القوات العسكرية للدول ، بل يرتبط كل الارتباط بضمان حقوق الافراد والمجتمعات العالمية .

وهي الثـورة التي تؤمن بـأن ضمـان حقـوق الافراد والمجتمعات العالمية لا يتم الا عـن طريـق العدالـة الاجتماعية بعد ان « انتهـى الامـر بالمجتمـع البشري اليوم الـى ان ينقسم بصورة جـد مروعـة الـى فئتين : متفوقـة ومتأخرة ، غنية وفقيرة ، ولكن المسلم بـه هو انـه ليس منطقيا ولا عادلا ولا يتمشى حتى مـع المصالح والمنافع الغائيـة للامـم الراقية نفسها ، ان تحاول هذه الامم ابقاء هذا الوضع على حاله وفرضه على الشعوب التي تعيش في ظروف غير ملائمة ذلـك لان هذه الفئة من سكان العالـم التي تشكـل الاكثرية العددية على وجه البسيطة ليست فقط لا تقبـل الرضوخ لهـذا الوضع بصورة مستمرة بل على العكس من ذلك ، لان تذمر افرادها المتضاعف في نهاية الامر يمكن ان يؤدي الى انفجار يكون الخاسر الاصلي فيه هو تلك الفئـة التي تتمتع بظروف ومزايـا رفيعـة » لذلك

فان ثـــورة السادس والعشرين مـــن ينايـــر تــرى بانه اذا لم تؤمن العدالة الاجتماعيـــة وتوضع الاصلاحات الحقيقية ليتمتع جميع افراد الشعوب بالحقوق الانسانية العادلـــة ، وانه « اذا لم تتحقق مثل هذه الاماني المشروعة لجماهير الشعوب فان كبتها عن أي طريق سيـكون دائما داء لا يجدي فيه دواء في حين أننا نجد على العـكس من ذلــك انــه اذا نجح الـكفاح في ازالة الفوارق الداخلية والصلات الدولية كمـا يجب فلــن يـكون ثمة مجال لظهور أي نوع من انواع الاضطرابات والقلاقل ولن يبقى سبب لافساد السلام والامن العالمين » كمـــا يقول جلالة الشاه آريا مهر .

١٠

رسالة عالمية

هذه هي رسالة الثورة البيضاء الى العالم وهي رسالة تنبع من محرضات التاريخ الايراني نفسه هذا التاريخ الذي يتحدث عنه العلامة الاكاديمي والمحقق الفرنسي المرموق « رينه كروسه » فيقول « ان لايران حقا عظيما علـى العالم البشري اجمع ، ذلك لان التاريخ يشهد ان ايران بثقافتها القومية والمحبة التي أوجدتها طوال قرون عديدة اصبحت وسيلة لحسن التفاهم والتجارب بين مختلف شعوب العالم وكم من جماعات كثيرة صارت ذات افكار وعقائد مشتركة تنيجـة لوحـي مـن التفكـير الايراني وان الاحاسيس التي ابداها شعب ايران اثرت في رجل فرنسي تأثيرها في رجل هندي كما كان تأثيرها علـى تركي بمقدار ما كان على كرجي وان المتصوفة الايرانيين رغـم انهم مسلمون تماما فانهم يستطيعون بأقوالهم التأثير على قلب المسيحي كتأثيرهم على قلب البرهمي ولهذا السبب ينبغـي ان نعتبرهم ملكا لبنـي الانسان كافـة » .

انه في الوقت الذي يبـــذل فيــه المصلحــون جهودهم لانقاذ البشرية من الاحقــاد والتفككات تضع الحضارة الايرانية مثالا تاريخيا رائعا في هذا المجال امام العالم وتعرض عليه طاقــة معنوية عظيمة • ولعل أهم المسائل في يومنا هذا هي ان يفهم كل من الشرق والغرب لغة الآخــر وان يتعايشا معاـ بعد ان اثبتت ايران امكان تحقق مثل هــذا التعايش لانهــا بنبوغها الفكري والمعنوي وعلى ضوء الامثلة الصالحة التي قدمتها طوال تاريخها المديد قد جعلت من نفسها ملتقى للشرق بالغرب حيث تلاقت هذه الاجزاء بصورة متناسبة وتماسكت بعضها ببعض علـــى شكل لا يقبل التجزئة والانفصال •

وعلى ضوء هذه السنــة التاريخية لايران فقد حدد جلالة الشاه محمد رضا بهلوي سياسة بــلاده في تصريح افضى به في احدى جولاته في بعض العواصم العالمية فقال «ان سياستنا ترتكز على حفظ السلام وحمايته فلقد اخذنا لانفسنا في ايــران سياسة اسميناها سياسة وطنية مستقلة تقوم على أسس التعايش السلمي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبــلاد الاخرى وينبغي ان اضيف أن علينا ان نتجاوز هــذا المجــال الى ابعد مدى أي ان نستبدل التعايش السلمي بالتعاون والتفاهم الدوليين وان نوسع ونبسط نطاق هذا التعاون والتفاهم ، خصوصا نحو البلدان التي

لها نظم سياسية واجتماعية متباينة ذلك لان معالجة أي من المشاكل الرئيسية التي تواجه عالمنا اليوم كالامية والمرض والجوع وفقدان الطعام الكافي تحتاج الى مثل هذا التعاون والتفاهم ونحن قد تقبلنا كحقيقة قطعية بأن ضمان مصالح بلادنا الحقيقية يرتبط بالتعايش والتعاون السلمي وحسن التفاهم الصادق مع جميع الشعوب والبلدان في العالم على أساس المحافظة على الحكم الوطني عند كل منا ، لقد تقبلنا ان السلام والتفاهم الدوليين هما قاعدتان حيويتان لتقدم مجتمعنا وأي مجتمع آخر في العالم كما نعتقد في الوقت نفسه أن تحقيق هذا التفاهم وهذا السلام لا يتم الا على أساس ازالة الفوارق والمظالم الحالية في العالم والسعي لتضييق الشقة الواسعة بين مستوى حياة الدول المتقدمة ومستوى البلدان النامية، وايجاد الحل العادل للخلافات العنصرية والدينية والتقيد بشرف مبدأ تعايش الاهداف والاساليب المختلفة للحكومات وعدم تدخل الدول في الشؤون الداخلية لغيرها » .

أجل هكذا ترجمت ثورة السادس والعشرين من يناير أبعادها على الصعيد العالمي غارفة من التاريخ الايراني العريق الاصالة ومن وجدان جلالة الشاه النواميس ومن ايمانه معطيات زخمها الفاعل في اطار التفاعل الانساني الكبير الهادف الى تحقيق العدالة الاجتماعية في العالم لسعادة المجتمع البشري وارساء قواعد البحبوحة الانسانية ليعم الكون سلام، سلام العدل والامن والصحة والثراء والتفاهم والتعاون الانساني الواسع .

١١

إيران والعالم العربي

الحديث عن علاقة ايران بالعالــم العربي يستقي أبعاده من جذور أصيلة تمتد الى مــا يزيد علــى الخمسة آلاف عام من التفاعل الانساني الوثيق الذي أعطــى في شتــى مجالات الحياة طاقات مبدعة في الفن والعلــم والفلسفة والفقــه واللغة والدين والبناء والهندسة والطب والقانون والاجتماع والتربية والموسيقى والصيدلة والتكنولوجيا وغيرها وغيرها مــن العطاءات التي فيها من التمازج الفكري الفاعل والمنفعل الشيء الــذي يستحيل معه الفصل في تحديد هوية العطاء ذلك لان عمق التفاعل الايراني ـ العربي هو من المسائل التي يشدها الــى التلاحم معايشة تاريخية وتوافق فكري ظاهر لدرجة ان ما يمكن تسميته بعناصر التباعد بين ايران وبلاد العرب هي عناصر تــلاق في الحضارات الاخرى او قد تكون دعامة هذا التلاقي .

ومن هنا فان الترابط التاريخــي في العلاقات الايرانية ـ العربية يجعل الحديث عنها كالحديث عــن الوحــدة المجزأة او

الاجزاء الموحدة في صعدان العطاء الفكري بمختلف مراميه لذلك فليس غريبا ان نرى الثورة البيضاء تعطي للعالم العربي وقضاياه وخاصة قضية فلسطين مكانة خاصة نابعة من خطوط السياسة الواضحة التي اختتطها الثورة لنفسها والتي تنشد اقامة السلام العالمي والعدالة الاجتماعية .

فبصدد قضية فلسطين قال جلالة الشاه آريا مهر : « يجب ايجاد الحلول الملائمة للنزاع الاسرائيلي العربي ، تلك الحلول التي تستند على مبادىء الحق والعدل التي أقرها ميثاق هيئة الامم لان زمن الغزوات والمغامرات قد ولى الى غير رجعة . وان أرض بلد ما لا يجوز ان تكون فريسة الغزو، وعلى دول العالم ان تتفق وتتعاون معا وبكل قواها على اساس الاحترام المتبادل فيما بينها للقضاء على الجوع والفقر والجهل. فتلك هي المباديء التي ترتكز عليها سياستنا الخارجية ، ولعل افضل مظهر لهذه السياسة هو التعاون الاقليمي المفيد القائم بين ايران وتركيا وباكستان . أجل لقد مضى زمن التسلط نتيجة للنصر العسكري ويجب على اسرائيل ان تتراجع عما احتلته وأن تعيده الى أصحابه فورا » .

وفي الموضوع ذاته قال جلالته : « ان بامكان اسرائيل الخروج من الوضع الخطر الراهن بقبول قرار مجلس الامن

الداعي الى انسحاب القوات الاسرائيلية مـــن الاراضي العربية المحتلة لانها ترتكب خطأ كبيرا بتصلبها واصرارها على المفاوضات المباشرة مع العرب بينما هـــي تعلـــم ان المفاوضات المباشرة مع العرب مستحيلة » •

هذا اضافة الى ان جلالة الشاه آريـــا مهر لم يترك فرصة سانحة الا واثار فيها قضية حقوق العـــرب في فلسطين ولم يوفر وسيلة دبلوماسية او سياسية الا وتوسلها لاعادة الحقوق العربية الى أصحابها ، تؤكد ذلك البيانات المشتركة التي كانت تعقب أي زيارة يقوم بها جلالته للخارج سواء في الاتحـــاد السوفياتي او باكستان او تركيا او غيرها من العواصم وقد بلغ من حمية جلالته الانسانية المؤمنة بالحـــق ان استغـــل زيارتـــه للولايات المتحدة الاميركية فأجرى مع الرئيس السابق جونسون مباحثات فيقضية النزاع العربي ــ الاسرائيلي ونـــوه بضرورة حث اسرائيل على الانسحاب من الاراضي المحتلة لئلا ينتج عن الاحتلال مضاعفات قد تهدد السلم في الشرق الاوسط والامن العالمي • هـــذا اضافة الى ان ايران قد أسهمت منذ العام ١٩٤٨ بتمويل وكالـــة الغوث الدولية لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين مساهمات فعالة وماسجلات المكتب الرئيسي في هيئة الامم المتحدة الاخير شاهد علـــى مدى المساهمة الايرانية الكبـــرى في مساعـــدة الفلسطينيين خصوصا والعرب على وجه العموم •

١٢

منطلق التاريخ

ان ثورة السادس والعشرين من يناير هي ثورة تاريخ يضج بالمآثر ونبوغ تفاعلت جذوره مع معطيات العلم الذي يغرف من مناهل الايمان زاده ومثاله ، انها الثورة التي يتلاقى من خلالها غابر تاريخ ايران بحاضرها ليرسم اطار مستقبلها المتطور المزدهر اذ هي الثورة التي وعت اصالة الانسان الايراني في تطوره التاريخي واستوعبت طموحه وتوقه الى الامجاد فجاءت تصوغ لامانيه المخططات الفاعلة التي تدفع المواطن الايراني لان يصل مآثر أمسه بحاضر يومه ليشيد لغده أمجادا تتلاءم في شموخها مع تخت جمشيد والمواثل الباقيات من آثار ايران الخالدة التي سجلتها يد الزمان في ديمتها وعلى صفحة ثراها : في طهران واصفهان ومشهد وغيرها وغيرها من المدن الايرانية وهي تتكشف عن خوارق معجزات في فن البناء والعمارة او النقوش والمنحوتات او وهي تؤرخ حوادث خارقة عن بطولات هذا

الشعب العملاق الذي له على الدهر منة هي منة الابداع في كل شيء ، الابداع في كل ما زاول من مهارات سواء منها المتقادم في العهد عهد الملوك الاخمينين او المتناهي في جدته كقصر كولستان او الرائع في بهائه المتكامل كما في رامسر وبرسبيوليس وشيراز وهمدان وقم واصفهان وطهران وكل ناحية ودسكرة من هذا البلد الذي يفيض بمعالم المدنية والحضارة منذ أبعد العصور .

⁂

لهذا فان الثورة البيضاء هي رسالة التفوق بين جميع النظريات الوضعية التي جاءت لتعالج المشاكل الحياتية للانسان وهي بما حققت من انجازات وما تصبو اليه من مثل خليقة بأن تكون رسالة الانسانية جمعاء ورسالة المجتمع البشري كله لانها وان كانت وليدة الثلث الاخير للقرن العشرين الا ان اهدافها وغاياتها المتفاعلة مع روحية هذا العصر تتخطى في شمولها حدود نهاية قرن من الزمان لتستقر في ركاب التطور وترد على حاجة الانسان في كل زمان ومكان .

فهي بما اعطت وحققت وبنظرتها للانسان والكون والمجتمع وللعلاقات الدولية والانسانية وبمفهومها الراقي للعدالة الاجتماعية انما تترجم حلم البشرية في الحياة السعيدة الهانئة التي يتساوى فيها الناس بالمحبة والامن والعدالة والطمأنينة والاستقرار والثراء والرفاه .

لهذا فان ثورة السادس والعشرين من يناير التي فجرها العاهل الايراني هي منطلق تاريخي لا لايران وحسب بل لحضارة القرن العشرين الذي تفتح فيه العقل البشري على الشمول البعيد في تطلعاته فلم يعد يرتضي اقرب من النجوم والكواكب مستقرا لمطامحه .

⁂

ان الثورة البيضاء بأبعاد المبادىء التي وضعتها قد اعطت مفاهيم اجتماعية راقية تنطلع اليها الامم اليوم بنظرات التقدير والاعجاب وهي ترى النظام الدستوري البرلماني الديموقراطي التي تمارسه ايران يستمد من تراث الشاهنشاهية الايرانية زخمة وديناميته ليحقق لهذا البلد كل ما يصبو اليه من آمال ومطامح ولا مشاحة فقد استطاعت ثورة السادس والعشرين من يناير ان تكون ثورة التكامل في كل شأن من شؤون الحياة لانها الثورة التي انطلقت من التقييم الصحيح للانسان والمجتمع فراحت ترد على متطلبات هذين بحلول نابعة من ضمير الواقع لتقيم مجتمع العدالة الذي يتساوى فيه المواطنون بالحظوظ والفرص كما يتساوون في رحابه امام القانون وفي التنعم بالخيرات والرفاه والصحة .

لذا فان الحديث عن الثورة البيضاء وما حققته الآن من منجزات يقود دائما الى التنويه بالمستوى الذي وصلت اليه

ايــران فــي ظــل ثورتهــا الرائــدة التــي امنت للبــلاد على الصعيد السياسي حكما مسؤولا يشارك فيه المواطن عبر مجلسي النواب والشيوخ وعبر السلطة التنفيذية وعبــر مجالات الحياة المشرعة مصاريعها امامه في بناء امجاد امته ووطنه وهي مشاركة فريدة لا يتبينها الا من يعيش مع المواطن الايراني في شتى ارجاء الرقعة الايرانية حيث يرى هذا المواطن رجلا كان أم امرأة شيخا كان أم يافعا متعلما كان أم ملمــا بمباديء التعليــم ، يراه وهو يندفع بحماس وشغف ليقوم بقسطه في الاسهام في تحقيقة نهضة أمته العريقة .

*

لقد استطاعت هذه الثورة الفريــدة ان ترسي معالم النظام الثوري في البلاد وفي شتى المرافق : السياسي منها والاجتماعي ، الفكري والانساني وذلــك في اطــار المؤسسات الديموقراطية السليمة دونما حاجة الــى قلاقــل الفورات وبهــارج المزايدات متوسلة العقل والحكمة والعلم للرد علــى متطلبات الانسان في الحياة الحرة الكريمة التي يتساوى فيها المواطنون تبعا لكفاءاتهم وقدراتهم وفروقاتهم الفرديــة في الاستفادة مــن ثــروة الوطن والاسهام في بناء عزة الوطــن والمشاركة في ادارة عجلة تقدمه في شتى القطاعات لان ثورة السادس والعشرين مــن يناير لم تكن ثورة الاقبية والدهاليز المظلمة ولا ثورة الكبت والحقد النفسي

التي هي المسحة الغالبة على جميع فورات شهوات الحكم التي تربعت في دست السلطان باسم الثورية ، بل كانت ثورة النور والمعرفة والمحبة ، ثورة المعاناة للمشاكل المجتمعية لوطن عريق في تراثه وتاريخه كايران لذلك فان الثورة البيضاء هي ثورة نسيج وحدها في بواعثها ومحرضاتها وابعادها وفلسفتها ومنجزاتها وقد بلغت في صدقها وموضوعيتها مرتبة التلاقي مع مطامح الكائن البشري ، هذا الكائن الذي ما انفك العلماء يخططون لسعادته ورفاهه منذ اقدم العصور .

ثم ان الثورة الايرانية البيضاء فوق ذلك هي ثورة متوارثة حبل بها رحم العبقرية الايرانية ففجرها على يد جلالة الشاه آريا مهر في تواصل نقل في مجمل معطياته تطلعات شعب ورقي أمة وحضارة تاريخ وتوق انسان وفلسفة عمالقة لهذا فقد استطاعت هذه الثورة ان يكون كل بعد من أبعادها ثورة قائمة بذاتها سواء في حقل العلم أم في الحقل الصحي ، في حقل السياسة أم في الحقل الاجتماعي في حقل الاعمار أم في الحقل الصناعي ، في حقل الانتاج أم في الحقل الاقتصادي في انسجام يستمد من شمولية الرؤيا الواضحة وفهمها للمشاكل الاجتماعية طاقة تدفع على الابداع .

***

ونظام الثورة الايرانية البيضاء في أبعاده الواضحة ييس

نظاما تجريبيا يترك لمنطق الخطأ والصواب أن يقيم مسيرته بل هو نظام تركيزي يأخذ من التجربة طاقة تدفعه علـى التطور التلقائي لانه النظام الذي أبدعتـه التجربة وبلورتـه الحاجـة وصاغته العبقرية العلمية المرتكزة علـى أرقى أصول الفلسفات الانسانية والتي تأخذ من واقع ايران ومـن حاجة المواطن في ايـران ومن طموح الانسان فيها زخما يترجمها عملا فاعلا يحقق الاعجاز من المنجزات في تسابق ليس مـع التطور الحضاري وحسب بل ومع تسارع الزمان وتقلب قيمـه في هـذه الحقبة الهامـة من تاريخ البشرية ولهذا فقـد استطاعت هـذه الثورة ان تخلـق في نفس الانسان الايراني تعلقا نادرا بالمسؤولية قل ان يرى مثيله في أي بلد من البلدان لانهـا استطاعت ان تخلق لـه النظام الذي يتوق اليه بعد أن محضتـه التجربـة شهـادة الديمومـة والصوابية والانفتاح •

⁂

ان الناظر الى ايران • ايـران الحرب العالمية الثانية والملم بتاريخ ايران خلال فترة الخمسينات والمتتبع للدسائس والمكائد والاحابيل الدولية والمحليـة علـى يـد الانتهازيين والرجعيين الفاسدين التـي كانت تستهدف وتستهدف فقط اعاقـة تطـور ايران وتقدمها بالاضافـة الـى ابقائهـا تحـت مناطـق النفوذ الاستعماري ، ان الناظر الى ايران تلك وايران جلالة الشاه آريا

مهر يقف بجلاء امام ما حققته الثورة البيضاء من منجزات ويرى بوضوح تحرر هذه الثورة مـن مركبات الانحياز والتبعية ويقف كذلك على مدى الاصالة التي تعطي هذه الثورة طابعها الايراني الصرف فايران اليوم هي ايران الشرق والغرب في اطـار السيادة والسلامة والتعامل المتكافيء ، وايران اليوم هـي ايران الانفتاح على التعامل الدولي في أي مجـال ، وايـران اليـوم هي ايران الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية ، وايـران اليوم هي ايران المحبة والمساواة والاخاء التـي لا يجـد في ربوعهـا المستغاون ثغرة ينفدون من خلالها لنفث سمومهم وزرع شقاقهم وفتنهم لان الوعي الذي خلقته هـذه الثورة في المواطن الايراني عـن طريق ما أعطت لهذا المواطن مـن انجازات أضحى النـور المشع الذي يكسف بريقه عيون المستغلين فيردهم على اعقابهم خاسرين .

☙

ثم ان وقف نزف الهجرة الايرانيةالـى الخارج التي كانت تحرم البلاد من طاقاتها الفاعلة وابقاء هـذه الهجـرة في اطارات هجرة الطموح وتزويد البـلاد المتخلفة بالخبرات ، لهـو وحده دليل على المدى الذي بلغتـه هـذه الثورة في مسيرتها الظافرة ودليل على المدى الذي شرعته أمام الاجيال الصاعدة من مجالات للعمل وذلك عن طريق مـا خلقت مـن مرافق انشائية وانمائية تعطي ايران طلتها الحضارية اللائقة بها .

ان ايران التي تعمل بصمت في ظل ثورتها العملاقة بعيدا عن ضجيج الدعايات وصخب الكلمة المتهافتة وبمنأى عن التبجح وتضخيم المرئيات قد اعتمدت سياسة العمل في موضع القول تاركة للمنجزات أن تتحدث بنفسها عن نفسها مفسحة في المجال أمام المراقب أو المشاهد أن يقيِّم لذاته فعاليتها وزخمها وما حققته من نتائج على صعيد الرقعة الايرانية كلها ، لانها بغنى عن سياسة وضع العدسة المكبرة فوق اعمالها وذلك لان كثافة هذه الاعمال وتعددها ودقتها ومستواها لا تحيط به الرؤيا المجردة فكيف بالرؤيا المجسمة التي تضخم المرئيات .

١٣

الجهاد المقدس

لقد عمل جلالة الشاه آريا مهر منذ توليه زمام الحكم في البلاد عام ١٩٤٦ وسط خضم هائج من التناقضات والمؤامرات والدسائس والمكائد فلم يتهيب الصراع ، ولم يخش الصعاب ولم يسجل في قاموس عزمه كلمة مستحيل فانطلق بالصبر كله والعلم كله والايمان كله وبالمحبة كلها وبالصلابة والعزم يبني لايران مجدها ، فأكب رغم مشاغل الحكم ورغم وطأة العراقيل يخطط وينقب ويطالع ويدقق ويمحص بوجدان العالم ليضع أصول ونواميس الثورة البيضاء فكانت هذه الثورة الخلاقة التي أوصلت ايران الى ما وصلت اليه اليوم من مكانة تغبطها عليها ارقى الدول حتى تلك التي سبقت ايران في ارساء معالم نهضتها الحديثة .

***

ان أيا كان لا يستطيع ان يتصور مدى الجهود التي بذلها جلالة الشاه آريا مهر ليعطي ايران طاقة الدفع الخلاق في اطار الثورة المبدعة التي تغرف من فيض نعمائها الآن والتي نقلتها

بخطوات راسخة من أغلال الاربعينات الى مطارف المجد الحضاري المنفتح الذي ترتع فيه اليوم .

أجل ان أيا كان لا يستطيع أن يدرك مقدار هذه الجهود ولا مقدار تلك المعاناة والمرارة التي كانت تعصر قلب جلالته وهو يرى ايران الاربعينات تتآلب عليها قوى الشر لتحطم منها العصب وتبقيها مكبلة في يد الاستعمار ، كما أن أيا كان لا يمكن ان يلم بمقدار الطاقة التي بذلت لتخليص ايران من براثن أعدائها الا اذا ألم بما كانت عليه ايران في تلك الحقبة التي يتحدث عنها جلالة الشاه محمد رضا بهلوي ويقول :

« لما تسلمت في ١٦ ايلول من عام ١٩٤١ زمام الحكم في البلاد كانت اجهزة الاعمال متفككة منحلة تماما بسبب اعتداء الاجانب ونفوذهم في البلاد وكانت قوى الفساد والرجعية والطابور الخامس الاجنبي التي كان قد قضي عليها مؤقتا اثناء حكم والدي ، قد وجدت امامها من جديد مجالا واسعا لتصول وتجول كما يحلو لها .

ومنذ تلك الايام حتى ما يقرب من اثنتين وعشرين سنة اي حتى شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٣ اجتزنا انا وبلادي مخفضات ومرتفعات عجيبة وشهدنا تمثيليات مصطنعة متنوعة كان

معظم رؤوس خيوطهـا بأيـدي الاجانـب ، يحركونها من وراء الستار شأنها شأن الالعاب الهزلية القراقوزية ٠

وكثيرا من هؤلاء اللاعبين على الحبال الذين كانت مهمتهم خداع الرأي العام فـي الداخـل وعرض رقصات ترضي رغبات الاجانب في الخارج لم يكن لهم غاية غير خدمة الاجنبي كما ان غايتهم الحقيقية كانت تستهدف الانتقام مني ومن أسرتي ٠

وهؤلاء الذين لم تكن لهم أهلية لان يخدموا بلادهم أدنى خدمة مجدية كانوا يستطيعون اثبات وجودهم عن طريق التخريب واشاعة الفوضى في كيـان البـلاد فقط وكـان شعارهم المثل المعروف « اقتلني ومالكا » ٠

⁂

ولم تعرف تلك الحقبة هـذا النوع مـن المهازل السياسية وحسب بل وصلت عند هؤلاء العملاء الـى حـد تلبس مسوح معارضة الاجنبـي بينمـا هـم في حقيقـة أمرهـم اجراء له يأتمرون بأمره وينفذون مشيئتـه ويعملـون مـن الداخل على تقويض منعة ايران وسيادتها ٠

وبالطبع فان مصلحة البلاد وسلامتها كانت تفرض الاكتفاء بمراقبة تحركات مثل هؤلاء العملاء لانـه لـم يكن من الحكمة الانشغال عن رسم معالم الاصلاح الذي تطمح اليه ايران الحديثة

بفتح معركة مع مثل هؤلاء لانها قد تعيق تنفيذ حركة الاصلاح الثوري التي كانت تتمخض في ذهن جلالة العاهل الايراني نظرا لما قد تخلفه من آلام وجراح ترفض مناقب جلالته لف ايران في أجوائها لتجثم على صدر الامة بثقلها مع وطأة ما كانت تحمله من آلام المكائد وجراح التآمر والاغتيال ٠

***

واكتفاء جلالة الشاه آريا مهر برصد هؤلاء المتآمرين من طبقة الرجعية الفاسدة ومراقبة تحركاتهم كان جزءا من مخطط كبير يقضي بشل يد هؤلاء العملاء والقضاء عليهم بالوسائل المجدية فكانت الثورة البيضاء نتاج ذلك المخطط الكبير الذي قضى على هؤلاء العملاء ليس على الصعيد السياسي وحسب بل وعلى الصعيد الاجتماعي بعد ان كشفتهم الثورة البيضاء وأماطت اللثام عن جرائمهم بحق الامة والشعب وفضحت مخططاتهم اللئيمة التي كانت تستهدف اعاقة تقدم الامة الايرانية وايقاف عجلة تقدمها ٠

وفي هذا المقام يقول جلالته :

« ولكم صادفت من اشخاص ، كانوا يتظاهرون بمعارضة الاجنبي بينما كانوا يتلقون التعليمات منه في الخفاء وكانت لدي على هذا ادلة ووثائق قاطعة ٠ لقد كان مؤلما ان اشهد مثل هذه الوقائع وان اكون مضطرا الى السكوت مؤقتا

عنها من اجل مصلحة البلاد حتـــى يحين الوقت المناسب • ولكم كان يجرح قلبي أن أرى أناسا يظهرون انفسهم للشعب الايراني الطيب القلب المتعطش للاصلاح والمعارض للنفوذ الاجنبي ، حملة الاعلام في محاربة الاجانب ويتظاهرون بهذا انهم هـم الدافعون وهم المخلصون بينما كنت اعلم الجهة الاجنبية التـي كان يرتبط بها كل منهم وما هي وظيفته الحقيقية » •

⁂

ولقد بلغ من حـذق الاجنبي في غلغلـة هـذه الطبقة من العملاء حدا مكنه من ان يزرع هؤلاء في أي مكان وأن يلبسهم الرداء الملائـم الـذي يمكنهـم مـن تنفيـذ مخططاته ومؤامراته التـي تستهدف تكبيـل السيـادة الايرانية وزعزعة الاقتصاد الايراني وجر الامة الايرانية الـى الاقتتال والفوضى والتذابح ليظل لـه سلطتـه وسلطانه يفرضهما ساعة يشاء ومتى يشاء في بحر الفوضى هذه ليمتص خيرات ايران ويشل تطورها •

ان عملاء النفوذ الاجنبي في ايران كما يقول جلالته « كانوا يقسمون الى عدة اقسام : قسم منهـم كان هؤلاء الذين يدعون السياسة ، وهم موسومون علنا ويدعون لسياسات معينة ، وبعض آخر كان أولئك الذين يموهون الحقائق ويقولون غير ما يفعلون منفذين في السياسة من الوطنية والتحرر قسما آخر من السياسة الاجنبية • اضافة الى الاقطاعيين الذيـن كانوا قـد الفوا تقريبا

حكومات محلية لاتفسهم فكانوا من اجل حفظ مصالحهم يتبارون ويسابق بعضهم بعضا في خدمة الاجنبي وارضائه وقد كانت هذه الفئة نافذة في جنوب ايران خاصة كما كانت هناك فئة اخرى هي فئة بعض رجال الدين او المتزيين بزي رجال الديـن الذين نعرف جميعا كيف كانوا ، وخاصة بعـد اعلان الدستور أداة لاستغلال دولة اجنبية .

***

لقد كان وجود هؤلاء العملاء يحـول دون تقـدم البلاد ورقيها لان المصالح الاجنبية كانت تقضي بأن يسود في ربـوع البلاد الايرانية وضع متأرجح غير مستقر حتـى يستطيع الاجنبي ان يحصل على الارباح التي يريدها كاملة هذا بالاضافة الى خلق روح الشك وسوء الظن وعدم الثقـة بين المواطنين لجعل الناس لا يؤمنون بأي عمل وينظرون دائما الى كـل شيء نظرة شاكة سيئة .

وليس ثمة مـن شك في ان عمـلاء النفوذ المأجور هؤلاء الذين يعرفون حقيقة ما يحمل العاهل الايراني بين برديه من قلب مؤمن محب وارادة صادقة حازمـة ورغبـة أكيدة في الاصلاح الجذري في ايران وذلك بما فطر عليه مـن تربية قومية راقية وما شب عليه من محبة لبلده وتفان في سبيلـه غرس بذورها في وجدانه النقي جلالة الراحـل العظيم رضا شاه الكبير ، ليس ثمة

من شك في ان عملاء النفوذ المأجور هؤلاء كانوا يستهدفون من تآمرهم وخداعهم وتهالكهم على اعتاب الاجنبي ان يعيقوا بأمرة من أسيادهم مسيرة الثورة الايرانية التي كانت مراجل زخمها تغلي في عروق جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي ، كما كانت أبعاد تآمرهم تصل الى حد التخطيط للقتل والاغتيال واثارة القلاقل لتظل البلاد غارقة في لجة الفوضى الامر الذي يمكنهم من الاستمرار في تمويه الحقائق على المواطن الايراني والاستمرار في التنعم بما تدره عليهم مكاسب الارتماء في احضان الغريب الطامع في خيرات ايران .

***

ولكم تمنى هؤلاء ان يخلصوا من جلالة الشاه ليقتلوا ثورته التي كانت لا تغيب عن أبصارهم حدود تطلعاتها في آراء جلالته وفي أحاديثه وفي خطبه وبياناته وتصرفاته في الحكم وتعامله مع أسيادهم الاجانب وذلك رغبة منهم في قتل ثورة الامة الايرانية التي تعرف تاريخ البطولات تواصلا يربط الامس باليوم والحاضر بالمستقبل لان ايران عودت الامم أبدا أن تكون مع الافذاذ من قادتها مقبرة للطامعين في عزها محطمة للراغبين في استغلالها واذلالها ثم لقناعة هؤلاء الاجانب بأن يقظة المارد الايراني على يد من تغلي في عروقه دماء الشباب وتتفاعل في نفسه نواميس العلم ويعيش مع آماله مجد ايران وحضارتها وتختصر

مع تجاربه منجزات الاختبار ، يقظة المارد الايراني على يد عملاق من هذا الطراز يذكر أعداء ايران بما كان لهذه الامة من مفاخر على الزمان ومن سلطان على الدهر وما كان لها من قدرة على فرض سلطتها خارج رقعتها في مدها الحضاري الذي غرف منه العالم الكثير الكثير مما ينعم به من عطاءات في عصرنا الحاضر .

***

نعم ، لم يكن هدف هذه الفئة من العملاء في ايران غير جعل هذا البلد عرضة للقلاقل والمحن والحؤول بينه وبين تفجير الثورة الايرانية التي تستهدف وضع ايران في اطارها الحضاري الذي يتلاءم وطبيعة وجودها ويتجانس مع ماضي أمجادها وتراثها ، لذلك فقد كان تصرف هؤلاء العملاء مؤلما عند فئات الشعب الايراني التي كانت تقف على حقيقة أبعاد ما يكيده هؤلاء العملاء لوطنهم . ومن الطبيعي ان يكون اكثر الجميع تألما من هذا الواضع انما كان الذي وضعت في يده دفة سفينة مصير ايران في اوقيانوس السياسة العالمية المتلاطم لانه لم يكن ليستطيع ان يكون شريك هذه الصنوف من قصيري النظر وضيقي الافق ولانه بحكم منصبه كان فوقها جميعها لذا فانه من فوق هذه المجريات العارضة كان يتطلع الى تاريخ ايران وحده الذي يمثل الاستقلال والسيادة والشرف الذي سلم اليه وديعة مقدسة فكان يعمل لان يسلمه بدوره الى الاجيال القادمة اكمل واغنى مما كان عليه .

لهذا فقد كان كفاح جلالته وسط كل هـذه الانواء جهادا مقدسا لا تستوي قدراتـه لغـير حملـة الرسالات الكبرى في التاريخ ، وليس ذلك عجيبا على اي حال علـى العاهل الايراني الذي نذر نفسه لامته فمنحها ذاته وكـل طاقاته وكرس لها عرقه وجهده ووقف لعزتها الدماء الغالية التـي تجري في عروقه وخص لمجدها دفقة الحياة التـي تحرك كوامن امكاناته المبدعة هـذه الامكانات التي تفاعلت مع معطيات واقـع ايران فغيرت مجريات تاريخها في هذه الحقبة الفاصلة من تحولات الامم نحـو أهدافها وتحقيق مثلها في الحياة •

انه جهاد مقدس بحق هو ذلك الجهد الذي يتحدى الزعازع ويسير بدفة السفينة الايرانية نحـو شاطيء الامـان بارادة تقهر المستحيل وايمان يجبـر البطولات علـى ان تجثـو على قدميها احتراما وتقديرا • انه على أي حال جهاد أراده جلالـة الشاه أن يكون على قدر الطموح الذي تحمله جماهير الشعب الايراني في آمالها للانعتاق من تلك القيود التـي كانت تكبل انطلاقة هـذه الامة ، وهي قيود وأغلال الفقـر والمرض والتخلف التـي شاء الاجنبي وطغمة عملائه ان تظل ايران ترسف في أغلالهـا لاعاقـة توثبها الجبار الذي يفرك شموخ المتطاولين •

١٤

تطور وابداع

لقد أفادت ثورة السادس والعشرين مـن يناير المباركة من جميع الظروف والعوامل المتوافرة لهـا في سبيل بناء نهضة ايران الاقتصادية والاجتماعية فاستطاعت ان تحقق بالتخطيط والبرمجة والكفاءة منجزات جبارة على أكثر من صعيد : سواء على صعيد الصناعات الثقيلة كمصانع صهر الحديـد والالومينيوم أو علـى صعيد الصناعات البتروكيماوية او على صعيد تنظيـم العقود او على صعيد فتح الاسواق التجاريـة الرحيبـة امـام المنتجات الايرانية ، مرتكزة في وثبتها هذه على ثرواتها الطبيعية ومواردها الاولية وطاقاتها وفعالياتها فتم لها عن طريق التكنولوجية العالية والخبرة والمهارة انتاج سلع ايرانية فائقة الجودة شقت طريقها في الاسواق العالمية لتنافس الصناعات المحلية للدول الكبرى ٠

وقد تأتى لهذه الثورة الرائـدة ان تنشيء الشركة الوطنية

للبترول الايراني وشركة الصناعات البتروكيماوية الوطنيـــة وأن تقيم مصانع البلاستيك والالياف الصناعيـــة ومنتجـات المطاط لتعضد صناعة السكر والنسيج والقطن والمواد الكيماوية والمواد الانشائية والمواد الغذائية والغاز الطبيعي وصهر المعادن والصلب والفولاذ فترسي قواعد ثابتة لتعدد الموارد وتنويع مصادر الثراء لتتظافر جميعها على تأمين المستوى اللائق للانسان في ايران .

ولم تقف ثورة السادس والعشرين من يناير عند هذا الحد من الاعداد الصناعي الكبير بل تعدته الى رصد باطـــن الارض واستخراج ما تخبئه في جوفها من كنوز فتم لها اكتشاف الحديد والمنغنيز والبوتاس والمواد الخزفية والذهب والكبريت والرصاص والزنك لتضيفها الى النمير الالهي الفياض الذي يغدق على هذه الرقعة من العالم نعمه فييسر لهـــا من مصادر الثراء مـــا يؤمن لها المستقبل المتطور المزدهر .

ولقد تم رصد آلاف الملايين من الرلايات لتطوير الصناعة الايرانية الصاعدة عن طريق ما تؤمنه العائدات النفطية من موارد تعدت الستة عشر مليار ريال في العام وذلك بعدما الزمت ايران الشركات البترولية العاملة فيها علـــى عقـــد اتفاقيات ثورية معها

تصل الى حدود الـ ٩٠ بالمئة مـن مجمل الارباح لصالح ايران لتعطي للشركات المستثمرة نسبة الـ ١٠ بالمئة الباقية .

وبالطبع فان رصد مثـل هـذه المبالـغ الضخمة للصناعة الايرانية يتم في نطاق مخطط كبير يولي كـل قطاع من قطاعات الانتاج حقه وأهميته وذلك لبلوغ المستوى الذي يتلاءم وطموح الشعب الايراني ويرد على تطلعاته الكبرى نحو مستقبل عزيـز مشرق .

⁂

ان الثورة البيضاء الخلاقـة في شموليـة حلولهـا لواقع المجتمع الايراني لم تقف زخم ديناميتها علـى المشاريع الانمائية وحدها بـل خصت المشاريع الانشائية بعنايـة علميـة صحيحة فرصدت المبالغ اللازمة لانشاء ما يربو على الـ ١٥٠٫٠٠٠ وحدة سكنية كل عام في المدن والقرى الايرانية لسد حاجات البلاد على صعيد السكن من هذه الناحية كما خصت اقامة الميادين والجادات الواسعة بفائق عنايتها كمـا أعطت موضوع مياه الشفة اولوية خاصة فأمنت وصولها الى سائر أرجاء المملكة حتـى اذا وصلت الى موضوع الطاقة الكهربائية الذي يعتبر من المشاريع الانشائية الانمائية في آن معـا خصت هـذا القطـاع بمبلـغ يزيد على

الـ ٧٥٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ليعطي طاقة تفوق الـ ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلوواتات .

وهكذا فان الثورة البيضاء البناءة التي اختمرت في ذهن جلالة الشاه محمد رضا بهلوي بعامل معايشة قلبه الكبير لاماني الشعب ومطامحه ، قد اعطت لايران في خلال سنوات قصيرة لا تقاس بشيء في عمر الامم ، أعطتها ركائز مستقبل اقتصادي عملاق ونهضة اجتماعية جبارة وثورة فكرية وسياسية وتعليمية وحضارية بناءة هي شاغل الباحثين الذين يولون دراسات نهضات الامم اهتمامهم وعنايتهم اذ تتراءى لهم ثورة السادس والعشرين من يناير مجموعة ثورات في آن معا لانها استطاعت ان تحقق ثورة في الزراعة وثورة في الصناعة وثورة في السياسة وثورة في العلم وثورة في المجتمع وثورة في كل مرفق من مرافق الحياة تتعاطف جميعها في اطار تطور مبدع يتلاقى مع تلك القوة الابداعية المعروفة عند الايرانيين منذ أقدم العصور يوم سجلوا في الامور العلمية والفنية اكتشافات تنطق بقدرتهم على الخلق والعطاء ، ولا عجب في ذلك فالتاريخ يشهد بأن الايرانيين هم الذين اخترعوا الساعة الشمسية مثلا وهم اول من أنشأ أول مرصد للنجوم واول من ابتكر صفحة الساعة المرقمة واول من اخترع

البنسلين مع الطبيب ابن سينا الذي اجـاز استعمال العفن النامي على الخبز لشفاء الجراح المستعصية كما أنهم كانـوا أول شعب نظم الحكم بشكله العلمي واول مـن اوجد التقسيمات الادارية مفجرين امام العالم ينابيع العبقرية الصافية لينهل مـن مواردها الخبرة والدراية والمعرفة ويغذي تقدمه بالفريد من المعارف التي لا تتكامل الحياة بدونها وهنا مكمن السر في تلك الوثبة الصناعية الجبارة التي استطاعت ان تخطوها ايران في ظل ثورتها البيضاء المظفرة فتصل الى مرحلـة المنافسة العالميـة في مجال عديد من الصناعات: كصناعة السيارات وصناعة البيتروكيماويات والصناعة البترولية نفسها وأن تحظى براعـة هـذه الصناعة بثقـة العالم فتعتمدها البلدان النامية كركيزة مـن ركائز تطورها كالهند التي اعتمدت المهارة الايرانية لانشاء مصفاة مدراس العملاقة والبحرين وقطر ودبي ومعظم امارات الخليج التي تعطي للخبـرة الايرانية مرتبة اولية في تنفيذ المشاريع الانمائية والانشائية على حد سواء بالاضافة الى الدول الاخرى كفرنسا وبريطانيا والمانيـا الغربية التي تثق كثيرا بجودة الكافيـار الايراني اضافـة الـى تركيـا وباكستان اللتان تعطيان للمنتجات الاستهلاكيـة الايرانية مرتبة

الصدارة ناهيك بالسجاد الايراني الذي يحتل مكانة عالمية لا يضاهيه فيها أحد •

***

ان ايران التي تخطو مثل هذه الخطوات الثابتة على الصعيد الصناعي والتجاري بهدي ثورة السادس والعشرين من يناير المجيدة تنطلق على صعدان الكفاءة والخبرة بخطوات مماثلة لتعد الجيل الايراني المؤهل لان يسير في ثورته الحضارية الى أبعد غاياتها وهي من أجل ذلك أفردت في برامج التعليم العالي والثانوي والمتوسط مجالات واسعة للاختصاص في العلوم التقنية والحرفية وأقامت كليات ومعاهد خاصة لتخريج جيش الخبراء والفنيين الذين يشرفون على الانطلاق بالصناعة الايرانية الى أبعد مدى هذا بالاضافة الى جيش الخبراء الذي تعده الكليات والمعاهد الاخرى في حقول الابحاث المالية والتجارية والانسانية والاجتماعية بحيث تتظافر جميع جهود هؤلاء في سبيل بناء المستقبل المزدهر الذي رسمت الثورة البيضاء معالم اشراقه لايران الحديثة •

***

ويجب ان لا يغيب في هذا المقام عـــن بـــال أي دارس آن ارقاما تدور في حدود الستة مليارات ريال كموازنة عامة تتصاعد اضطرادا تحرك عجلة هذه النهضة الاقتصادية والتجارية الجبارة كما يجب ان لا يغربن عـــن بـــال أحـــد كذلـــك أن الاستقرار السياسي الذي أوجدته الثورة البيضاء قد وفر أجواء مكينة من الثقة بالاقتصاد الايراني وبالعملة الايرانية التـــي يصدرها البنك الوطني الايراني جعلت من هذا البلـــد مطمحا لاستقطاب رؤوس الاموال الاجنبية التي تؤمن مـــن العملات الصعبة مداخيل وفيرة تمد الاقتصاد الايراني بفعالية انطلاق وتجاوب عالميين يساعد على توفير المناخات الملائمة لحركات التصدير والاستيراد اللازمة لاي اقتصاد فاعل متطور • وقد بلغ من قدرة الاقتصاد الايراني على التحرك عالميا أن أمن مبلغـــا استقرت ارقامـــه في حدود الـ ٣٠٠ مليون دولار من البضائع المصدرة من السجاد والقطن والكافيار والفواكه المجففة والجلود وخامات المعـــادن والصمـــغ والصوف باستثناء النفط والمنتجات البتروكيماوية التي أمنت وحدها دخلا زاد على الـ ١٧ مليار دولار •

***

وقد ساعد الاقتصاد الايراني المتطور على هذه الوثبة الكبيرة في ميدان التقدم اعداد دراسات علمية موضوعية نابعة من مباديء الثورة البيضاء الرائدة لاي خطوة تخطوها البلاد في شتى حقول العطاء الاقتصادي وخاصة على صعيد اعداد موازنات التطوير الوطني التي تركز في صياغتها على النقاط التالية :

١ ــ جعل الاهداف الاولية محددة تماما ٠

٢ ــ تراعى مقاييس النمو والرعاية الاجتماعية كدليل مرشد للموازنة ٠

٣ ــ توضع جميع اعمال الاستثمار ضمن اطار شامل ومنسق بحيث يسند الواحد الآخر ويدعمه ويقويه لجعله متكاملا ٠

٤ ــ تصاغ سياسة التجارة الخارجية بحيث تخدم التطور الصناعي وتنميه ٠

٥ ــ تستخدم السياسة المالية والنقدية بفعالية كبيرة لتنظم وتضبط بطريقة غير مباشرة سيولة الاموال في اقنية الاستثمارات الداخلية التي تستند اليها الحاجة ٠

٦ ــ يؤكد على دور القطاع الخاص في الاقتصاد بحيث لا يتدخل معه القطاع العام عن قصد او بصورة غير

مناسبة ، ويحض على توسيع المشاريع الخاصة لتحمل المزيد من مسؤولية تنفيـــذ وتجسيد مشاريع التنمية وشعارها في هذا المقام قول مأثور لجلالة الشاه آريا مهر : « ان عمل الشعب يجب ان يقوم به الشعب » .

٧ ــ وضع نظام الاولوية والعلاوات بدقــة متناهية وعلى ضوء تحليل الوارد والصادر وطرق بحوث العمليات.

فحري اذن باقتصاد يتبع مثل هذه السياسة العلمية المجربة في وضع مخططاته ان يبلغ ما بلغه الاقتصاد الايراني مــن مكانة عالمية تلفت الانظار بعدما قطعت ايران مرحلة تشجيع الصناعات الخفيفة لتصل الى مرحلــة الصناعات الثقيلة التــي يشترك فيها القطاعان العام والخاص بانسجام يذكــر بأرقــى مظاهر الحرية التجارية والانسانيةفي أي بلد منبلدان العالم وتأتى لها ان ترصد لهذه الصناعات مبالغ تصل ارقامها الــى السبعــة مليارات ريال تتوزعها مصانع السيارات في تبريز وآراك ومصانع التراكتورات والاسمدة الكيماوية والالومينيوم والكيماويات وصهــر الحديد والالياف ومكائن الديزل والورق والصناعات الحديدية وصناعة الانابيب .

**

أجل انه لحري باقتصاد يستمد ركائز صلابته من معين الثورة البيضاء العملاقة ان يبلغ ما بلغه في هذه الفترة القصيرة من الزمن وأن يعد لمنطلقات وتوثبات جديدة تعده لمستقبل مرموق وأن يعمل على استغلال جميع الطاقات الحية والامكانات ليفجر الابداع ثراء يغمر كل جزء من اجزاء ايران ويصيب كل فرد من افرادها بنعمائه • ولهذا فاننا نرى ان ايران الحديثة ، ايران الثورة الاجتماعية البيضاء تواكب تطورها الاقتصادي هذا باعداد عصري يرد على متطلبات هذا التطور وذلك بتعزيز الاساطيل التجارية البحرية والجوية وتوسيع شبكة المطارات والمرافيء كمرفأ بوشهر وبندر عباس وبندر شاهبور فترصد لها مبالغ تزيد على الـ ٢٠٠ مليون ريال لتحسينها وتعمد الى تدعيم شبكة الخطوط الجوية الايرانية بأحدث طائرات النقل التجاري في العالم وذلك بغية خلق التكامل اللازم للحركة الاقتصادية الواحدة بشقيها المتفاعلين الاستيراد والتصدير هذا عدا عن تحسين شبكة خطوط السكك الحديدية وانشاء الطرق الزراعية والجادات الدولية الواسعة لتأمين النقل الداخلي للمحاصيل والمنتجات على مختلف انواعها كيما يصبح القطاع الاقتصادي شاملا لجميع معطيات الزخم الذي يدفعه قدما الى الامام فيعزز

موارده ونتاجه بالطاقات الكفيلة بجعلـه عصب الحيـاة الراقية الحديثة بشكل صحيح .

❖

ولقد عرفت ثورة السادس والعشرين من يناير البطولية أن بناء الدولة الحديثة الصحيحة يقوم على تلازمين في عالم التنمية : اولهما التنمية الاقتصادية، فاعطت لهذه التنمية كل تلك الامكانات لتحقق جميع الغايات التي استهدفتها منهـا وهـي تصوغ لهـا نواميس مثل تلك النهضة الفتية الشاملة .

وعرفت ثورة السادس والعشرين من يناير أن سبيل مثل هذه التنمية الاقتصادية يكمن في تنويع الانتاج وتعدد موارد وتطويره وانمائه وزيادته ليصل الى الحد الذي يفـي باحتياجات البـلاد ويصل بها الى عتبة تصدير الفائض عن احتياجات الدولة وهـذا ما جعلها تخطط بتصميم دؤوب على بلوغ مثل هذا الهدف فكان لها أن وصلت الى مثل هذه المرحلة من الاكتفاء وشرعت بالدخول في مرحلة التصدير المتطور الفاعل .

على أن الثورة البيضاء عرفت ان ثاني هذين التلازمين ، ألا وهو التنمية الاجتماعية ، يتطلب جهودا مضاعفة وخبـرة حاذقة

ومهارة فائقة وايمانا رسوليا لبلوغ المرامي التـي ترجى من مثل هذا القطاع في الانماء الذي يهدف الـى تطوير المجتمع واكسابه خصائص جديدة ومفاهيم جديدة ووسائل جديدة تخلـق الوعي والمعرفة وتحدث تغييرات جذريـة في صميـم صلاتـه وعاداته ومفاهيمه وتركيبه الاجتماعي والانساني فعمدت مـن أجل ذلك الى ترجمة مبادئها عملا فاعلا تحققـه جيـوش العلـم والصحة والارشاد والاعمار وبيـوت الانصاف والمؤسسـات والجمعيات التعاونية وجماهير العلمـاء والدارسـين والباحثين الاجتماعيين الذين تجندوا لتنفيذ أبعـاد وغايات الثـورة الاجتماعية البيضاء منطلقين من مرامي هذه الثورة بالعمل الصامت الدؤوب لتحسين الوضع الاجتماعي في البلاد وخاصة في مناطـق الريف وتحسين المستوى الحياتي للمواطن وتهيئـة مقومات الحيـاة السعيـدة الكريمة له في اطار المحافظة على قيمه الروحية والخلقية وتدعيمها لبناء مجتمع ناهض متكامل . وهكذا فقـد ركزت هـذه الثورة أولا على نشر العلم والمعرفة واردفته بتعميم الوعي الصحي بعدما أمنت وعممت وسائل العمل بهذا الوعي وذلـك بخلـق المرافق الصحية السليمة لتدعمه بالوعي الاجتماعي بعدما نشرت ويسرت وسائل الثقافة في كل مدينة وقرية ودسكـرة وفي انأى مناطـق

الريف عن طريق المطبوعات والملصقات والصحف والمجلات والاذاعات وبرامج التلفزيون وشتى وسائل الاعلام الاخرى حتى اذا ما تم لها ذلك أغنت الوعي السياسي بمفاهيم ونظرات تقدس الحريات الاساسية للمواطنين نابعة من المفاهيم الديموقراطية الصحيحة ببنائها من القاعدة ، قاعدة المواطن فحضنته عن طريق بيوت الانصاف لاختيار مجالس القرى وعن طريق الانتخابات النيابية العامة وعن طريق مختلف وسائل ابداء الرأي للاسهام في اغناء وطنه بدفقة من عطائه السياسي لتكون ايران بلد الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية دون منازع حتى اذا ما بلغت الثورة الاجتماعية مراميها هذه انطلقت من جديد الى خلق وتأمين مؤسسات اجتماعية في سائر ارجاء الرقعة الايرانية تسهم في بناء ايران الحديثة وتشارك فيها المرأة الرجل جنبا الى جنب في التوجيه والرعاية رعاية الجيل الجديد أمل الغد ، وتوجيهه الى الغايات السامية والمقاصد النبيلة والاهداف التي تنتظر الامة الايرانية بلوغها على يديه .

***

ولقد أفردت ثورة السادس والعشرين من يناير للبحوث الاجتماعية وللدراسات يقوم بها علماء الاجتماع مجالات رحيبة

لتعزيز كل ما من شأنه أن يؤمن المواطن في ايران الحياة الهانئة السعيدة •

وامعانا منها في اشعار المواطن الايراني بالاستقرار والاطمئنان لغده بعد ان يسرت له كل تلك الوسائل من المعرفة عمدت الى تأمين شتى انواع الضمانات له : من الضمان الصحي الى الضمان الاجتماعي مرورا بضمان الشيخوخة والعجز الدائم وانطلقت في مجالات اخرى رحيبة لتوفير مناخات جليلة للعطاء فأمنت للعائلين والايتام والعجزة الى جانب معطيات الضمان مساعدات مالية واجتماعية تعينهم على توفير الاستقرار والاطمئنان والتمتع بالحياة الحرة السعيدة ووصلت في نبيل مشاعرها المتعاطفة مع المواطنين حد تخصيص مساعدات مالية فورية لضحايا الكوارث والمرض كما انها لم تنس الشباب في تخطيطها الهادف الى توفير أجواء السعادة امام كل فرد في ايران فخصت الشباب بمساعدات مالية في حقول التعليم التي تتم بالمجان وذلك للمتفوقين من أبنائها في شتى حقول الاختصاص او في شتى مجالات الدراسة ومراحلها ، لتكمل عملية الانماء الاجتماعي بشكل صحيح وتصبح الضمانات والمساعدات نميرا لخلق الاطمئنان الاجتماعي بالمستقبل الافضل لجميع المواطنين •

ثم ان ثورة السادس والعشرين من يناير المثالية قــد خلقت في ادارة الدولة ومؤسساتها اجهزة متجانسة تعمل علــى تحقيق اهدافها وتطلعاتها وفق تعاليم راقية تركــز كثيرا علــى ان تحمل المسؤوليات والتبعات هــي تكليف لا تشريف وخدمــة لا ارادة ومصلحة عامة لا منفعة خاصة فراحت هذه الاجهزة والمؤسسات المزودة بالخبرة والمتمرسة بروح المسؤولية والمدركة لمعاني الوطنية والرسالات الكبيرة تعمل في شتى المرافق تؤمن لايران وللمواطن فيها مطامحه وأحلامه وفق أرقــى مندرجات الاخلاص والعدالة الاجتماعية وتشرف علــى فعاليتها حكومــات رشيــدة مسؤولة ويراقبها مجلسان تشريعيان للشيوخ والنواب على افضل ما تكون المراقبات الديموقراطية البرلمانية السليمة .

*

وهكذا فان ايران الثورة البيضاء قــد اعطت للتلازمين في الانماء : الانماء الاقتصادي والانمــاء الاجتماعي أقصى الطاقات التي يمكن ان تخصصها البلاد المتقدمة في العالم وذلك مــن أجل خلق التكامل في نهضة الاوطان وبناء مستقبل الامم وفق معطيات ومتطلبات الثلث الاخير من عصرنا الحالي كيف لا وهــي ثــورة جلالة الشاه آريا مهر الذي يغرف من معين نمير زاخر مــن الفكر

الفياض الذي يفجر الابداع في كل ناحية ويعطي لتراث الشاهنشاهية الايرانية اصدق صور تلازمه ، هذا التراث الذي « رافق ايران والامة الايرانية طيلة خمسة وعشرين قرنا فامتدت جذوره عميقة في حياتها ولا سيما في النواحي الروحية والانسانية لان من تقاليد الشاهنشاهية الايرانية ان يكون الشاه، الملك المثالي في ايران ، زعيما وقائدا وموجها للروح يقود امته الى عصر جديد في حياته ويفجر ثورة في حياتها القومية كما انه هو الذي يصنع عهدها ومجدها ويبدع انظمتها واجهزتها الاجتماعية وينفذ مشاريعها العمرانية بصورة عامة والذي يقدم لامته خيرا كل يوم . على ان الشاه المثالي يمتاز بصفات أخرى اذ يقوم بواجب توحيد أمته وهذا أمر هو أسمى من واجبات الحكم ويبقى ان الشاه الحقيقي في ايران هو الذي يرشد أمته الى المثل والمناقب » على حد ما جاء على لسان العالم الدانمركي الكبير والمستشرق كريستنسن .

أجل فان من يتذكر كيف ان ايران كانت مهد الحضارة والمدنية في زمن كان فيه العالم الغربي غارقا في بحر الجهل والظلمات ، لا يسعه الا أن يتذكر في نفس الوقت ان النظام الملكي والبلاط الشاهنشاهي كان وراء استمرارية التقدم والدفع الى

الامام لتبقى ايران مركزا مشعا للحضارة والثقافة ومعقلا عالميا تحتمي به المثل الروحية والمعاني السامية وواحة الرجاء للحرية والعدالة الاجتماعية .

**

والناظر في تاريخ ايران يرى بجلاء كيف ان كوروش الذي حمل مشعل الحضارة منذ ما يزيد على الالفين وخمسمائة عام قد سلم رسالة حمل مشعال التقدم الى داريوش الكبير ويرى بجلاء كذلك ان الحضارة والقيم المعنوية والروحية للشعب الايراني تقترن دائما في ايران بالنظام الملكي الشاهنشاهي الذي هو من المقدسات عند هذا الشعب باعتباره مصدرا حيا له وملاذا تلجأ اليه الافكار ذلك لان نظام الشاهنشاهية الايرانية له مفهوم خاص في ذهنية الفرد الايراني والسبب في ذلك هو ان الشاه في ايران كان دائما القوة الدافعة للابداع ، والنور الذي يكشف عن العبقريات ، والمعين الاكبر للانتاج الادبي والفني والعطاء الفكري والمرشد الصادق للامة لاقامة دعائمها على أساس الحرية والسلام واحترام الفرد وحقوقه وآرائه ليس في ايران وحدها بل في العالم أيضا اذ ان المواطن في ايران يعرف كيف انه يوم امتدت الامبراطورية الشاهنشاهية وتوسعت وضمت اليها شعوبا أخرى ،

كيف ان الامة الايرانية قد عاشت مع تلك الشعوب ضمن اطار الشاهشاهية الايرانية على أساس المساواة والعدل فحافظت الامة الايرانية على عاداتها وتقاليدها ودينها وآدابها ولغتها ونمط حياتها وعاملت الشعوب الاخرى بالتسامح مفسحة في المجال امام كل فرد من تلك الشعوب ليمارس حريته الدينية واتباع طريقته في الحياة ونظام عيشه وكان البلاط الايراني دائما والشاه هو المحور الذي تلتقي عنده جميع تللك الشعوب مع الشعب الايراني لانه رمز وحدة وسيادة الدولة .

*****

نعم ان من يذكر ذلك بجلاء يعرف سر تعلق المواطن في ايران بثورته البيضاء ويعرف من ثم في أي مناخات من الحرية والعدل الاجتماعي والضمانات الصحية والانسانية وموجات العطاء الفكري يحيا الانسان في ايران الآن مع ثورة جلالة الشاه محمد رضا بهلوي آريا مهر ويعرف فوق ذلك وقبل ذلك أي نهضة يصوغها جلالته لامته بتعاليم الثورة البيضاء الظافرة لتتعاطف مع أمم الارض في ارساء دعائم السلام والامن العالميين لينعم انسان هذا العصر بالسعادة والبحبوحة والرفاه .

١٥

ملك وحمية

الحديث عن تعلق جلالة الشاه محمد رضا بهلوي آريا مهر بشعبه وتعلق هذا الشعب بمليكه حديث يطـول فرغـم مشاكل الحكم ومشاغله ورغم السهر الطويـل لتحقيق آمـال ايـران ومطامحها ودفع عجلـة تطورهـا في مختلف الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فان جلالته يظل يقتنص مـن وقته الثمين او يقات للالتقاء بالشعب في شتـى ارجاء المملكة ليطلـع علـى احوال المواطنين عن كثب ويلـم باوضاعهـم وبالمستوى الحياتي الذي يعيشونـه والمستوى الـذي يطمحون اليـه عبـر الثورة الاجتماعية البيضاء ، يلتقي معهـم ويـدن جلالته وشاغله رؤية السعادة والرفاه تغمر سائـر المواطنين في أنأى القصبات واقرب المدن وأبعد القرى واقصى الارياف لان تربية جلالته البهلوية قد أنشأته على حب هذا الشعب والتعاطف مع آماله وأمانيه وغرست

في نفسه نكران الذات في سبيل رفـــع مستوى امتــه ووطنه فأنشأته على المحبة والتقوى والــورع والتمسك بأصول الدين الحنيف الذي هو مصدر للاعتزاز والفخر عنــد جلالته كما أكد ذلك في مجلة « الايمان » المغربية حيث قال : « انــه لمن دواعي فخرنا واعتزازنا أن نكون قــد نشأنا في ظــل التعاليم الاسلامية السامية ، وقد لمسنا بالتجربة الفعلية ان الديــن الاسلامي متطور ومتجاوب مع متطلبات العصــر لدرجــة انه يتسع لتلبيــة كــل الاحتياجات للانسان في النواحي الروحيــة والاخلاقية وتحقيق العدالة الاجتماعية .

وأن الدين الاسلامي دين أبدي خالد وانه يستجيب لجميع احتياجات البشر ولتقدم وتطور الاحــوال الاجتماعيــة واحقاق العدالة الاجتماعية ، ويتفق وحركة التاريخ ومتطلبات العصر .

ان الاسلام حــارب الظلــم والاستبــداد وفرض المساواة والتعاطف وحطم الاصنام ودعــا لاول مــرة الــى نشر مفاهيم الحرية الحقيقية .

انها منتهى السعادة لذلك المجتمع الذي يعتنق ويؤمن بهذه المباديء التي تتجاوب كــل هذه المجاوبة مــع المدنية والحضارة

الانسانية ، ولا يمكن ان تكون للدين غير هذه الصبغة ، ذلك انه دين أبدي يتفق ويستجيب لاحتياجات البشر في عصرنا الراهن وفي كل عصر وزمان .

ان التعاليم الاسلامية ستكون دليلنا الاكبر في سيرنا الى الامام ، وطبيعي أننا سنتمكن بعون الله تعالى من تحديد معالم طريقنا بشكل صحيح والسير فيها بأمان على هدى نور هذه التعاليم والوصول الى ذروة المجد والرقي وسنسعى لتعزيز واشاعة العدل والانصاف وما يتفق وروح ومفاهيم ديننا القويم » .

*

نعم بمثل هذا الايمان وهذا الفهم الراقي لمعطيات الدين الحنيف يتحدث جلالته وفي ضوء هذا الايمان وهذا الفهم العميق لمبادىء الدين الاسلامي يمارس ايمانه ليكون القدوة للامة في الحفاظ على تقاليدها ودينها وشعائرها الروحية فنراه يغتنم السوانح بين آن وآخر ليزور العتبات المقدسة ويظهر ايمانه العميق بالله تعالى وحبه للائمة الاطهار بارساله الهدايا الثمينة من ماله الخاص الى العتبات المقدسة في النجف الاشرف وكربلاء ومشهد وقم ودمشق كما يدفع من ماله الخاص كذلك نفقات

ترميم وحفظ مباني هـذه الاماكـن المقدسة • ولم تقف حمية جلالته الدينية عند هذا الحد بالطبع بل أمر بطبع قرآن نفيس بخط جميل وارساله الى جميع المراكز الدينية والى علماء الدين في شتى أنحاء العالم •

وما الاستنكار الرهيب للجريمـة البشعـة التي ارتكبتها اسرائيل بحرق المسجد الاقصى ، هذا الاستنكار الذي وصل الى حد استدعاء جميع سفراء الدول الاسلامية في العالـم المعتمدين لدى البلاط الشاهنشاهي ودعوتهم الى توحيد الصفوف وتقوية التعاون واتخاذ الخطوات اللازمة لاعادة بنـاء المسجد الاقصى المبارك اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، اجـل ليس هذا الاستنكار سوى الدليل القاطـع علـى فعاليات الايمان في قلب جلالته هذه الفعاليات التـي تنميهـا طيب الارومـة في السلالة البهلوية •

❋

هذا وان حمية جلالته في تعاطفها النابع مـن ادراكها الكبير لواقع ايران وتقاليدها وتراثها لا تقف عند حدود الروابط الدينية بل تشمل العلائق الدولية التـي تعززها روابط الود والاخاء والصداقة في اطارات رحيبة • وبهذا الصدد يقول جلالته: «اعتقد

الآن ان الوقت قد حان لبعث الشرق الاوسط من جديد واعادة الحياة اليه ، وليس هناك ما يمنع ايران التي يشهد التاريخ على مدى مساهمتها في تحقيق مثل هذا التطور من ان تلعب دورا جديدا في هذا المضمار » •

وانطلاقا من معالم الرسالة التي يعد جلالة الشاه بلده لتحملها لتقوم بقسطها في اغناء التراث العالمي بالفكر والعلم والخبرة والمعرفة فقد أمر جلالته بطبع مجموعة من الكتب تضم معلومات دقيقة عن ذخائر التراث الفكري الايراني في مختلف أرجاء العالم كما تشتمل على تواريخ مفصلة للعلاقات الثقافية بين ايران وكل دولة من دول الدنيا ، وعلى بحوث ودراسات وافية عن تاريخ ايران لكبار المستشرقين بالاضافة الى شروح وتفصيلات مسهبة عن المؤسسات والمراكز الثقافية التي تعنى بدراسة اللغة الفارسية وآدابها وتحتوي هذه المجموعة من الكتب الفريدة على عشرين جزء يبلغ عدد صفحاتها جميعا ثلاثين ألف صفحة وقد صدر منها حتى الآن جزءان هما الاول والثني ويقع الواحد منهما في حدود الـ ١٥٠٠ صفحة وهو غاية في العرض والتنسيق والتبويب • فلاقت هذه الخطوة من التقدير والاحترام التجاوب الكبير باعتبارها خطوة جبارة تشكل دعما للحركة

الثقافية في العالم مختطة بذلك نهجا فريدا في انماء العلائق الدولية بين الامم عن طريق الترابط الحضاري والثقافي وخلق الاجواء والمناخات المتفاعلة لتعاون انساني واسع يتعدى نطاق المصالح والمنافع ليدور في نطاق اغناء التراث العالمي بفيض من الفكر القادر على خلق ابعاد جديدة لمنطلقات انسانية جديدة تساعد على توفير السلام والامن والعدالة في العالم لجعل راية السلام خفاقة ونبذ سياسة الحروب والتطاحن بين أمم الارض .

***

وليس ثمة من شك في ان السياسة التي تمارسها ايران في المحافل الدولية في نطاق هيئة الامم المتحدة ومؤسساتها كافة ليست سوى التجسيد العملي لهذا التطلع الراقي في النظرة الايرانية ، تلك النظرة النابعة من هدي تعاليم الثورة البيضاء في أبعادها العالمية والانسانية ، فهي تنطلق في اطار هيئة الامم المتحدة تحض على وجوب احقاق حق الشعوب الضعيفة فتأخذ ناصرة هذه الشعوب وتنبري مدافعة منافحة عنها مركزة على وجوب احلال السلام في العالم بأي ثمن وخلق مجالات من التفاهم الدولي كفيلة بأن تحل المشاكل العارضة بأسلوب المفاوضات .

وهي في نطاق المنظمـات المتخصصـة والمؤسسات التابعة للامم المتحدة ايضا تعمل على محاربة الجوع والجهل والتخلف في شتى رقاع الارض فتشير بوجوب رفـع مستويات الحيـاة في الدول المتخلفة دون النظر الى لون او عرق رائدها في ذلك قول كريم : « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم الى الله أنفعهم لعياله » فتتحرك في هدي ايمانها هـذا فاعلـة في المحاورات والمناقشات والمداولات المستمدة جميعها من توجيهات جلالة الشاه محمـد رضا بهلوي لتحرير الانسان من أغلاله .

ولا يقف فيهـا الايمـان بالطبـع عنـد حـدود ابـداء الرأي والمشورة بل تصل الى حد المشاركة المالية في اقرار مثـل هذه المطامح لبني الانسان وما رصدها الملايـين السبعين مـن الدولارات كل عام لمكافحة الامية في العالم وما سخاؤها الملحوظ على وكالة الغوث الدولية واسهامها المادي في نفقات منظمة الصحة العالمية وسائر المنظمات سوى البرهان العملي علـى ذلك الايمان الرسولي لايران بضرورة توفير الامن والسلام والرخاء والصحة والرفاه والثراء لبني الانسان . وهو امر تـرى الثورة البيضاء المباركة أن تحقيقه لا يمكـن ان يتـم الا « على أساس ازالـة التمايزات والمفارقات » . والخلافات العنصرية والدينية وجعـل

الانظمة المتباينة للدول تتعايش بسلام دونما تدخل من هذه الدول الواحدة منها بشؤون الدولة الاخرى. كما ترى بأن الدول الراقية في العالم تتحمل قسطا أكبر من المسؤولية والواجب ازاء استمرار الخلافات الاجتماعية والعنصريــة والدينية والقبليــة الناجمة في معظمها عن التعصب الاعمى والجهــل وعــدم النضوج الفكري والتي تزيد في مشاكل الدول المتخلفة ، هذه الدول التي تربط في نطاق الاسرة البشرية بالدول المتقدمة الراقية .

❋

ان ثورة السادس والعشرين من يناير النابعة مــن الايمان الكبير بالانسان قد قدمت للعالم نظرية فريدة لبلوغ مثــل هذا الهدف الانساني السامي حين طرحت على أمم الارض نظرية تقول بوجوب اجراء مسح اجتماعــي دقيــق بطريقة علميــة تحليلية محضة ، بصرف النظر عــن الآراء السياسية او المصالح الخاصة بالشعوب الكبيرة او الصغيرة لتعرض نتائجها بأسلــوب علمــي واضح على الرأي العام العالمي لتبادر منظمة الامــم المتحدة التي هي أكبر مرجع للتعاون الدولي عــلى وضع الاسلــوب الناجع لمعالجة الامراض التي تظهرها مثل هذه الدراسة معالجة اساسية تحول دون ظهور مزيد من الاعراض المرضية في المستقبل .

وليس ثمة من شك أن نظرية كهذه هي نظرية لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم كلـه وهي نظرية جديرة بالدراسة والعناية لتستفيد منها أمم الارض جميعها وتنعكس فوائدها على سائـر الافراد في الاسرة البشرية ، كما انه ليس ثمة من شك كذلك في أن مثل هذه النظرية تعكس الايمان الرسولي لجلالة الشاه آريا مهر بضرورة توفير أرقى مستويات العدالـة الاجتماعية والامن والسلام للانسان في أي مكان والى أي بقعة انتمى ، لهـذا فان نظرية جلالته هي الآن مدار اهتمام الاوساط العالمية بعد ان شرع أمامها ابواب التأمل في كيفيـة التغلب علـى المشاكل العالمية والقضاء عليها بأسلوب فعال ينجيها مـن الازمات والانتفضات والثورات والاغتيالات والحـروب البـاردة والحـارة والسباق المرهق للتسلح في كل ناحية من نواحي العالم ٠

نعم ٠ الى هذا المستوى مـن التعاطف مـع آمال البشرية تصل حمية جلالة الشاه محمد رضا بهلوي آريا مهـر وهي حسية تنبع جذورها مـن تلك النشأة الاسلاميـة الانسانيـة البهلوية الراقية التي شب عليها في كنف جلالـة العاهل الراحل رضا شاه الكبير الذي رفع مشعـل الحضارة الايرانيـة ليسلمـه بغاياته القومية والانسانية والاجتماعية مأتلـق الضياء مـن بعـده الى

النبعة البهلوية المباركة لتزيد في اشراقه وتوقـده ضيـاء يكشح غياهب المظالم ليس من امام الانسان في ايران بـل ومـن امام الانسان في العالم أجمع •

لقد نظر جلالة الشاه محمد رضا بهلوي آريا مهر الى واقع بلاده بايمان رسولي وصفـاء وجداني خـلاق فكانت الثورة البيضاء الخالدة التي جاءت نتيجة اختمار العبقرية بالعلم فكانت ردا على المعاناة الصادقة التي اعتملت في وجدان جلالته وهو يرى ايران تلفها كل تلك الاجواء التي لا تتلاءم مـع واقعها وتاريخها وعظمتها ومثلها ورسالتها الانسانية السمحاء ، كمـا كانت ترجمة بليغة لمطامح ايران ، التي انبرى جلالتـه يخطـط لهـا ويعمل ويستوحي من هدي الرسالات السماوية ونتـاج العبقرية العالمية خلاصتها ليضعها نواميس في صلب تلـك الثورة المباركة لتنطلق من ثم فعاليات الامة من عقالها يواكبها التخطيط المركـز لتفجـر بدورها طاقات وتنمي مواردا وتخلق ابعادا جديدة لحياة الانسان في ايران ، أبعادا تضعه في ميدان الرقـي معلما يغرف من مناهل العدالة الاجتماعية ثقة تدفعه على الابداع •

***

ونظرة جلالته الشمولية لاعلال ايران لم تكن غير دافع على رصد الآمال الكبار للامة الايرانية بشكل حـدد ماهية المنطلقات

التي يجب التوثب من ركائزها لارساء معالم النهضة الايرانية في شتى الحقول . نهضة لا تكتفي بأمجاد الانتصار على الاعلال ووضع الحلول السليمة لها بل تستمر في ديناميتها لتكون النهضة ثورة اجتماعية في كل مرفق من مرافق الحياة على ان لا تكون ثورة كباقي الثورات تربط التقدم الخاص بالتخلف العام فتساوي بالشقاء بين أفراد الامة منشئة من الحقد الطبقي هوة سحيقة ومن الجفاء بين الحاكم والمحكوم سبيلا الى التربص وتحين الفرص لارجاع القديم الى قدمه لان الثوورة البيضاء التي أبدعها جلالته لم تسلب ثراء الموسرين من ابناء الامة لتضعهم في مصاف المعسرين فتتساوى عندها حظوظهم في الفقر ، بل اعطت من ذاتيتها زخما دفع بطاقات المعوزين للعمل المبدع بعدما أمنت لهم شتى انواع الضمانات التي يحتاجها الانسان وذلك من موارد الامة نفسها أي من كنوز الارض وعطاء السماء لتساويهم في الحياة الحرة الكريمة مع أولئك الموسرين الذين لم تضن الثورة البيضاء بدورها عليهم في التوجيه والرشاد وجعلهم ينعمون بنتاج جهودهم بانسجام مع مطامح الامة دونما استغلال او استئثار او تمييز متوسلين الحريات الممارسة بأرقى مداليلها سبيلا لهم لتحقيق المزيد من التطور ومن تكافؤ الفرص بين جميع الناس نهجا لاعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

*
**

ثم ان جلالة الشاه آريا مهر بعد ان تفاعلت في ذاتـه جميع محرضات البيئة الايرانية التي كانت تدفعـه للقيام بعمـل عظيم يتساوى مع مجد ايران وحضارتها وتاريخها ، لم يدع في سطور التاريخ رأيا الا وطالعه ولم يترك بين سائر النظريات الاقتصادية والاجتماعية العامة نظرية الا واستعرضها مستخلصا منهـا العبر والعظات فكانت الثورة البيضاء ثمرة اختمار جميع هذه المعارف في الفكر الخلاق بالاضافة الى زخم تلك المحرضات التي تفاعلت في ذهن جلالته فجاءت نظرية ايرانيـة خالصة في فلسفتها وغاياتها وحلولها ترد على متطلبات ايـران في أي قطـاع وتضع الصياغة العملية لدفع عجلة التطور الايراني بانطلاقية صاعـدة وتوثبات رائدة ليكون في مصاف الدو ل المتقدمة عاملا مسهما في حضارة الانسان .

***

اننا لن نقف طويلا عند تلك المحرضات التي كـان جلالته يعاني منها بعد أن فجرت تلك المعاناة ثورة الابداع، لذلك سنكتفي بالاشارة الى الحريات السياسية التـي كان الاجانب والرجعيون يتلاعبون في مجرياتها بشكل خطير هـذا بالاضافة الـى حرمان المرأة الايرانية من حق الانتخاب وقـد تكون عالمـة او باحثة او

مبدعة في حقل من حقول العطاء ناهيك باستغلال الموارد والخيرات على يد الاجانب الذين كانوا يعدون المخططات لابقاء ايران في وهاد التخلف ليتسنى لهم اغراقها في لجج الفوضى لتظل مرتكزا لنفوذهم وسلطانهم يلهون بمقدراتها وطاقاتها كيفما اتفق هذا الى جانب الاوضاع غير الصحيحة التي كان يخلقها عدم انتشار العلم وتعميمه والوعي الصحي وعدم انتشاره وفقدان التوجيه البناء في قطاعات العمل والصناعة والتجارة والزراعة ، وهي محرضات تهز كيان المخلصين فتحرك في وجدانهم العمل على تخليص البلاد من براثن هذه الاعلال .

اجل لن نقف طويلا عند ذلك لان ثمة في الثورة الايرانية البيضاء ما يستوقف الدارسين ألا وهو النضوج الذي تم فيه وضع مبادىء هذه الثورة والخطوات المكينة الثابتة التي قطعت بهدي هذه المباديء والتجاوب الكبير الذي لاقته عند جماهير الشعب الايراني الذي عرف أبعاد هذه المبادىء بيسر لانها لم تكن غير ترجمة عملية لاهداف هذا الشعب وآماله وأمانيه وغير تجسيد حي للمطامح التي كان الشعب الايراني يريد ادراكها وبلوغها لتبقى لامته أمجادها التاريخية والحضارية الهادية .

***

وثمة شيء آخر يستوقف الدارس لابعـاد الثورة الايرانية البيضاء الا وهو بلوغها مرحلة تخطي مشكلات الامة لاستعراض مشكلات العصر ووضع الحلول الناجعة لها مبدعة في ذلك أبعـاد ثورة كونية شاملة ونظرة انسانية صحيحـة تشمـل في تعاطفها الانسان في كل مكان وتلك أبعاد لها دلالتها في عصرنـا الحاضر عصر التكالب علـى المصالـح والانانيـات والاسواق التجارية ومناطق النفوذ فلكأن هذه الثورة البيضاء جاءت لتكـون صرخة في وجه انسان الجيل الحاضر ليضع حدا لطمعه وجشعه فيعـود الى شرف مبدأ التعايش الانساني بسلام مـع افـراد المجموعة البشرية فأعطت بذلك للانسان ذخيرة حيـة يتوسلهـا لنشدان سعادته وخطت لدول العالم السبيل الرشيد الـذي ينجي الكون من ويلات الحروب وكوارثها ومنغصاتها •

⁂

ان الثورة البيضاء ، لـم تكـن اذن في غاياتها البعيدة غير ثورة انسانية تتخطى نطاق ايران وذلـك بعـد ان أمنت لايران نهضتها ومطامحها ووضعت على عاتقها حمـل عبء رسالة الثورة الانسانية في كل مكان •

ومباديء الثورة الايرانيـة البيضاء بـين جميـع المبادىء الوضعية التي يمارسها العالم اليوم هي المباديء الوحيدة النابعة

من روحية العصر والمتفاعلة مع اماني الشعوب وآمالها لانها بعد تركيزها الكبير على احترام الحريـة الشخصية للانسان تصدت لاعلاله المجتمعية فعملت بهدي هذا الاحترام على خلق الركائز التي ترتاح لها مطامح هذا الانسان • ولان جميع ما سبقها من المباديء كانت وليدة فورات فرضتها شهوة السلطان الى جانب تناقضات الواقع الاجتماعي فكانت انقلابات سياسية عملت على تركيز السلطة في يد فئة معينة من الناس لا ثورة اجتماعية تضع للمشاكل الاجتماعية حلولها وان تصدت لهذه المشاكل من قريب او بعيد فوضعت لها الحلول لان الحلول التي كانت نتيجة تلك الفورات لم تراع مصالح جميع الناس لانها استهدفت فقط ان تبهر عيون فئات المعوزين بما حرمته للفئات الموسرة من ثراء • وهكذا فان الثورة البيضاء قد رفضت الحرب الطبقية باعتبار ان العدالة الاجتماعية كفيلة بايصال كل ذي حق لحقه الى أي فئة انتمى فأذابت بذلك الفوارق الاجتماعية وجعلت الحياة الحرة الكريمة في متناول الجميع دونما استثناء •

***

ان من يقف على عتبة مشارف نهاية القرن الحالي من المراقبين ويعرف طموح الناس وآمالهم يستطيع ان يلم بالاهداف والمثل التي أوجدتها ثورة السادس والعشرين من يناير في ايران

ويعرف كيف ان هذه الثورة المباركة قد هيأت بالخطى السليمة العلمية أسباب التحضير لتغيير المفاهيم التقليدية البالية لتعطي مفاهيم جديدة انسانية الشمول صادقة الاهداف دافعة على الابداع لها من الزخم والقدرة والطاقات ما يؤمن لها استمرارية التفاعل مع متطلبات الانسان المستجدة في كل آن لان خطوط الثورة العريضة واسلوب ممارستها لم يركز على غير العدالة الاجتماعية والعدالة الاجتماعية بالطبع أمل من آمال البشرية في كل زمان ومكان عملت لادراكه منذ اقدم العصور ولم تظفر الدول المتقدمة التي تمارس ارقى اساليب الديموقراطية حتى الآن الا بتحقيق بعض الغايات اليسيرة من هذه العدالة .

والثورة الاجتماعية البيضاء في ايران فوق كل ذلك كانت الثورة التي ركزت على انماء صلاتها بجميع أمم الارض فلم تغلق نفسها خلف ستار حديدي ولم تناور على حساب مناطق النفوذ ولم تعتمد سياسة الانحياز لاستدرار عطف الدول الكبرى عليها بل عمدت للتفاعل مع سائر أمم الارض في حدود التعامل المتكافيء والسيادة والسلامة واعطت لتجانس الغايات اولوية للوقوف في وجه موجات الانحلال التي شرعت بعض المجتمعات في العالم تظفر بها مرتدية أساليب الرفض تارة والالحاد تارة اخرى والميوعة بأشكالها وصنوفها فراحت بالمبادىء القويمة

والترا ثالديني والتاريخي تعمل على كشف أبعاد هذه الطفرات المريضة منبهة العالم الى اخطارها بسبب ما تخلقه في وجه الاجيال من روح انهزامية وتعطيل للطاقات مما يشل الامكانيات المبدعة ويجعلها فريسة للضياع والقلق المصيري الذي يرميها في متاهات الانحلال •

ولا غرو في ذلك فقد عودت ايران العالم عبر تاريخها الطويل ان تغني حضارة الانسان وثقافته وتراثه بما يتفجر في ذهن ابنائها من ابداع لتسطره في سفر الخلود ملاحم تعطي لمسيرة الانسان معناها المتطور •

وتركيز ايران على انماء صلاتها بالعالم نابع من قناعتها بأن صياغة مستقبل البشرية عمل جماعي وان نشدان الامن والسلام والعدالة في العالم هي غايات لا يتم ادرراكها الا بتعميق الصلات بين أمم الارض لجعلها تترابط بعلائق متينة تساعدها على تحقيق آمال الانسانية التي ترهقها الكوارث والويلات والحروب فتبعدها عن الالتفات الى مشاكل الانسان المتخلف الذي يعاني من الجوع والمرض والفقر ما يندي جبين هذه الانسانية التي لم تستطع وهي تخطط لسبر أغوار الكون أن تتغلب على مشاكل الانسان البسيطة لتوفير اجواء الحياة الحرة الكريمة الهانئة له •

***

نعم ، لتحقيق مثل هــذه الغايات تنمــي ايــران الثورة الاجتماعية البيضاء صلاتها بالعالم أجمــع ولتحقيق مثــل هذه الاهداف تضع اليوم طاقاتها بتصرف الانسانية لانها ترى انه من العار على المجتمع الانساني ان تستمر فيــه مثل هــذه الاعلال المجتمعية التي ترهق احساسه ومشاعره الراقية • ولقــد هدفت الثورة الايرانية الخالدة اول ما هدفت وهي تبني ايران الغد الى جعل هذا الجزء من العالم متطورا قادرا على حمــل رسالة مشعة الى الدنيا لتخليص الانسان من اسقامه •

والآن وقد شقت الثورة الايرانية البيضاء طريقها الى العالم واخذت غاياتها ومثلها تتبلور امام قادة الانسانية بعــد ان وثبت بايران اجواء الاربعينات المرهقة الى مشارف التطــور الانساني الذي تشهده الدول المتقدمة اليوم يجزم الناس بأن هذه الثورة قد شحنت بطاقة استمرارية دافعة لا تؤثر بها المؤثرات مــن أي صوب أتت ولا تستطيع أي مبادىء اخرى ان تجاريها او تدانيها لانها قامت على أسس راسخة ثابتــة ونظريــة علميــة تركيزية لا تجريبية ناشدة مثلا واهدافا انسانية تلتقــي عندهــا البشرية جمعــاء •

الآن وقد خطت ايران بثورتها الرائدة مثل هــذه الخطوة العملاقة قد يتساءل المرء عن السر الــذي يقف وراء مثــل هذا

الابداع في العطاء وهذه العلمانية في معالجة أمور الانسان وهذه النظرة الثاقبة الى الامور ومجرياتها المندفعة فلا يجد غير جواب واحد على تساؤله يتجمع في نطاق بــوح كبير ليقف عنــد زخم جلالة الشاه محمد رضا بهلوي آريــا مهــر وواسع علمه وغزير ثقافته وايمانه البطولي ومضائه وعزيمته التي لا تعرف الكــلال والملل فيشير ذلك البوح بجلال الى طبيعة ايــران وتاريخ ايران ومجد ايران ونظام الشاهنشاهية الايرانية وتراثهــا وواجباتهــا ودورها في خلق نهضة الامة ولتستمر لايران ألوية رسالتها خفاقة في العالم •

لهذا فان من يلم بهذه الحقائق عــن ايران يقف بجلاء على سر الزخم الذي تتحرك بــه الثورة الايرانيــة البيضاء في شتى مجالات الحياة محليا وعالميا ، عربيا واسلاميا ، اجتماعيا وانسانيا ويقف كذلك على أن هذه الثورة لــم تكن غير رسالــة سمحاء قامت على العلم والخبــرة والايمان واستفادت مــن الامكانات والتاريخ والتراث ومن الطاقات والموارد قــدرة علــى الخلــق والتوثب والتطور •

**
*

هذه هي الثورة الايرانية البيضاء بأبعادها وغاياتها ومبادئها وتحركها في العطاء التي استأثــرت بمشاهداتــي وانطباعاتي عن

ايران كما تستأثر ولا شك باهتمام كل زائر ودارس لمعالم النهضة الايرانية الحديثة لان آثار هذه الثورة تظهر له في كل شيء ومع كل شيء • تظهر له في حياة المواطنين وزخمهم واندفاعهم للعمل المبدع وفي مستواهم الحياتي الرفيع ، وتظهر في المشاريع الانمائية والانشائية الضخمة وفي المصانع والمعامل والمتاجر وفي قطاع العلم والصحة والعمل وفي قطاع الاتجار والتعامل وفي اطار السياسة الممارسة وفي اطار التعامل الدولي وفي اطار استخراج الثروات وجعلها موردا للشعب يركز بناء نهضة ايران الحديثة الراقية، وتظهر بالتجاوب الكبير الذي تلاقيه مبادؤها في نفوس المواطنين ، وتظهر في كل شأن من شؤون الحياة في ايران ذلك لان هدف هذه الثورة كما يقول جلالة الشاه محمد رضا بهلوي آريا مهر لم يكن يتوخى غير بناء « ايران حديثة راقية تقوم على أسس قوية راسخة لا يؤثر في مصيرها وجودي او غيابي لانه من المؤكد انني وسواي سنرحل عن هذه الفانية في عاجل او آجل ولكن ايران وشعب ايران ومجتمعها ستظل الباقية • وان من واجبنا ان نسعى في حياتنا ما امكن لتوفير اسباب السعادة والتقدم والرخاء •

وانني اسأل الله العلي القدير ان يمدني بمزيد من ارشاده وان يغدق دائما على هذا الوطن وهذه الامة وفي ظل رحمته وعنايته فيضا اوفر من الرقي والرفاه والسعادة » لتستمر ايران في حمل رسالة الخير والحق والسلام والعدالة في العالم كله •

الفهرس

		صفحة
	المقدمة	٧
الفصل الاول	تاريخ وثورة	٩
الفصل الثاني	ثورة للانسان	١٦
الفصل الثالث	العدالة الاجتماعية	٢١
الفصل الرابع	منجزات الديمقراطية	٢٩
الفصل الخامس	الحرية السياسية	٣٥
الفصل السادس	العلم والمعرفة	٣٩
الفصل السابع	العدل اساس الملك	٤٦
الفصل الثامن	الرجعية الفاسدة	٤٩
الفصل التاسع	التخطيط الفاعل	٥٣
الفصل العاشر	رسالة عالمية	٦٠
الفصل الحادي عشر	ايران والعالم العربي	٦٣
الفصل الثاني عشر	منطلق التاريخ	٦٦
الفصل الثالث عشر	الجهاد المقدس	٧٤
الفصل الرابع عشر	تطور وابداع	٨٣
الفصل الخامس عشر	ملك وحمية	١٠١

تشرين الثاني ١٩٧٠

للمؤلف

مشروع ادريس للاسكان

باللغات الثلاث : العربية والفرنسية والانكليزية ١٩٦٧

التجربة المغربية ١٩٦٨

الطريق الى فلسطين ١٩٦٩

تحت الطبع

- البورقيبية : فكرة وموقف وعمل
- اليسار العربي : ما له وما عليه
- جدار العار (قصة سياسية من واقع الحياة في المانية)
- مستقبل الخليج بعد الانسحاب البريطاني .
- سحابه سوداء فوق اسرائيل

مَطابع الوَفاء - بَيروت - ت ٢٥٤٣٨٢